حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الكويت

الدكتور منجد مصطفى بهجت

قسم اللغة العربية - جامعة الموصل

البحر في شعر الأندلس والمغرب في عصري الطوائف والمرابطين

الرسالة الأربعون

٤٠

الحولية السابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

ثمن الرسالة

الكويت ٤٠٠ فلس ـ البحرين نصف دينار ـ قطر ٥ ريالات ـ الامارات ٥ دراهم ـ السعودية ٥ ريالات ـ عمان نصف ريال ـ اليمن الجنوبي ٢٠٠ فلس ـ اليمن الشمالي ٣ ريالات ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ ج . م . ع . ٢٥ قرشا ـ لبنان ٥ليرات ـ الأردن ٢٥٠ فلس ـ سوريا ٥ ليرات ـ السودان ٢٥٠ مليما ـ ليبيا ٤٠ قرشا ـ الجزائر ٥ دنانير ـ تونس ٤٠٠ مليم ـ المغرب ٥ دراهم .

الاشتراك السنوي لعدد (٨) رسائل

للأفراد ثلاثة دنانير كويتية ومائتا فلس في الكويت ــ أربعة دنانير في الوطن العربي اثنان وثلاثون دولاراً أمريكياً في الخارج بالبريد الجوي .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ستة عشر ديناراً كويتياً ــ في الخارج أربع وستون دولاراً أمريكياً .

لأعضاء هيئة التدريس والطلاب خصم ٥٠ ٪

جميع المراسلات الخاصة بشروط النشر أو أية إستفسارات أخرى بشأن الحوليات توجه الي

رئيس هيئة تحرير الحوليات ـ ص . ب : ١٧٣٧٠ الخالدية ـ الكويت : 72454

حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب .. جامعة الكويت

دورية علمية محكمة تتضمن مجموعة من الرسائل وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في مجالات اهتمام الأقسام العلمية لكلية الآداب

الحولية السابعة - الرسالة الأربعون
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

صدر من هذه الحوليات

الحولية الأولى لعام ١٩٨٠ :

الرسالة الأولى	: الجذور الفلسفية للبنائية	د. فؤاد زكريا
الرسالة الثانية	: صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا	د. محمد عيسى صالحية
الرسالة الثالثة	: ابن قلاقس، حياته وشعره	د. سهام الفريح
الرسالة الرابعة	: الأمير تنكز الحسامي	د. حياة ناصر الحلجي
الرسالة الخامسة	: التدرج الطبقي الاجتماعي في بعض الأقطار العربية (باللغة الانجليزية)	د. خلدون حسن النقيب

الحولية الثانية لعام ١٩٨١ :

الرسالة السادسة	: علي أحمد باكثير	د. محمد عبده
الرسالة السابعة	: تحليل اخطاء الطلبة العرب في استعمال أدوات التعريف والتنكير الانجليزية (باللغة الانجليزية)	د. نايف خرما
الرسالة الثامنة	: دولة المماليك ودولة مغول القفجاق	د. حياة ناصر الحجي
الرسالة التاسعة	: المرأة والفلسفة	د. محمود رجب

الحولية الثالثة لعام ١٩٨٢ :

الرسالة العاشرة	: الروابط العائلية القرابية في مجتمع الكويت المعاصر	د. فهد ثاقب الثاقب
الرسالة الحادية عشرة	: البيئة والسلوك	د. طلعت منصور
الرسالة الثانية عشرة	: عالمية الحضارة الاسلامية ومظاهرها في الفنون	د. صلاح الدين البحيري
الرسالة الثالثة عشرة	: لورنس ومحفوظ، دراسة أدبية سيكلوجية، مقارنة	د. محمد رجاء الدريني
الرسالة الرابعة عشرة	: آل قدامة والصالحية	د. شاكر مصطفى

الحولية الرابعة لعام ١٩٨٣ :

الرسالة الخامسة عشرة	: أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية	د. عبدالعال سالم مكرم
الرسالة السادسة عشرة	مفهوم التفسير في العلم من زاوية منطقية	د. عزمي موسى اسلام
الرسالة السابعة عشرة	: العمل الاجتماعي في المجال التربوي	د. جلال الدين الغزاوي
الرسالة الثامنة عشرة	: وحدة ميتافيزيقيا أرسطو ومنزلة الرياضيات فيها	د. أبو يعرب المرزوقي
الرسالة التاسعة عشرة	: مفهوم التهكم عند كير كجور	د. امام عبدالفتاح

الحولية الخامسة لعام ١٩٨٤ :

الرسالة العشرون	: «نظرة في قرينة الاعراب» في الدراسات النحوية القديمة والحديثة	د. محمد صلاح الدين بكر
الرسالة الحادية والعشرون	: الاخرويات الاسلامية في الكوميديا الالهية (باللغة الانجليزية)	د. رشا حمود الصباح
الرسالة الثانية والعشرون	: تسع وثائق في شئون الحسبة على المساجد في الأندلس	د. محمد عبدالوهاب خلاف
الرسالة الثالثة والعشرون	: مشروع سوريا الكبرى وعلاقته بضم الضفة الغربية	د. أحمد عبدالرحيم مصطفى
الرسالة الرابعة والعشرون	: مفاهيم العلاج النفسي وانماط التفاعل داخل الأسر المريضة (النشأة والتطور)	د. حامد عبدالعزيز الفقي

الحولية السادسة لعام ١٩٨٥ :

الرسالة الخامسة والعشرون: نحاة القيروان — د. يوسف أحمد المطوع

الرسالة السادسة والعشرون: من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية — د. محمد عيسى صالحية

الرسالة السابعة والعشرون: الفصاحة: مفهومها وبم تتحقق. قيمها الجمالية — د. توفيق علي الفيل

الرسالة الثامنة والعشرون: مشكلة التأويل العقلي عند مفكري الاسلام في المشرق العربي وخاصة عند ابن سينا — الأستاذ / سعيد زايد

الرسالة التاسعة والعشرون: واقع التاريخ في رواية وجوب العنف (باللغة الانجليزية) — د. رشا حمود الصباح

الرسالة الثلاثون : مكانة رواية روبنسون كروزو في القصص اللايوطوبي (باللغة الانجليزية) — د. محمد رجا الدريني

الرسالة الحادية والثلاثون : مفهوم المعنى ودراسة تحليلية — د. عزمي موسى اسلام

الرسالة الثانية والثلاثون : الوصايا ومدى تطورها في العصر العباسي الأول — د. سهام الفريح

الحولية السابعة لعام ١٩٨٦ :

الرسالة الثالثة والثلاثون : بردة البوصيري قراءة أدبية وفلكلورية — د. محمد رجب النجار

الرسالة الرابعة والثلاثون : الارشاد النفسي تطور مفهومه وتميزه — د. عبدالله محمود سليمان

الرسالة الخامسة والثلاثون: اتجاهات الآباء والامهات الكويتيين في تنشئة الأبناء وعلاقتها ببعض المتغيرات — عبدالفتاح القرشي

الرسالة السادسة والثلاثون: علم العمران الخلدوني وعلم الاجتماع الحديث (باللغة الانجليزية) — د. فؤاد البعلي

الرساله السابعه والثلاثون: قبيلة تميم العربية بين الجاهلية والاسلام — د. عبد الجبار العبيدي

الرساله الثامنه والثلاثون: عيوب الكلام: دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب — د. وسميه المنصور

الرسالة التاسعة الثلاثون: المواقع الاسلامية المندثره في وادي حلي (ق٣ - ٩هـ/٩ - ١٥م) — د. أحمد بن عمر الزيلعي

الرسالة الأربعون

البحر في شعر الأندلس والمغرب
في عصري الطوائف والمرابطين

الدكتور منجد مصطفى بهجت
قسم اللغة العربية - جامعة الموصل

حوليات كلية الآداب الحولية السابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

المؤلف

د. منجد مصطفى بهجت
دكتوراه في كلية اللغة العربية جامعة الازهر - ١٩٨٢.
حالياً: أستاذ مساعد في اللغة العربية - كلية الآداب جامعة الموصل - الجمهورية العراقية.

من أهم مؤلفاته:

- عدة بحوث نشرت في مجلة آداب الرافدين - جامعة الموصل.
- واقعة الزلاقة كما صورها الشعر الأندلسي، مجلة آداب المستنصرية بغداد ١٩٨٣.

محتوى البحث

ملخص

صلة شعراء الأندلس بالبحر وثيقة، وظاهرة تأثرهم به بينة، ضمن إطار أثر البيئة الاندلسية في الشعر، وفيها أفردت دراسات كثيرة، دون أن يلتفت لشعر البحر - بشكل خاص - وله خصوصية يمتاز بها على صنوه المشرقي، وتبدو أهميته فيما يأتي:

١- إن الأدب من الوثائق التاريخية والجغرافية التي تمدنا بمعلومات ثمينة في هذا المجال.
٢- إن الأدب من الأدوات الجمالية التي تحقق عنصر التذوق والمتعة.

لقد دار البحث في ثلاثة محاور تمثل المضامين التي اتصل بها شعر البحر وهي:

١- الرهبة من البحر ٢- وصف البحر ورحلته ٣- معارك الجهاد والبحرية.

وأوسع هذه المحاور ثانيها، وفيه يتشعب الحديث إلى ثلاثة فروع هي:
قصيدة المديح، وقصيدة الغربة والحنين، وقصيدة الرثاء.

لقد استعرض البحث أبرز مضامين هذه المحاور، من خلال نماذج شعرية لشعراء الاندلس والمغرب في ذالكما العصرين، وأما الدراسة الفنية فقد وقفت عند أبرز السمات التي تميز بها وهي:

أ - المعاني والصور
ب - التجربة الشعورية
جـ - اللغة والاسلوب
د - بناء القصيدة وأوزانها وقوافيها

وقد توصل البحث إلى أن أبرز شعراء الأندلس والمغرب الذين وقفوا عند البحر هم: ابن حمديس، وابن خفاجة الاندلسي وابن درّاج القسطلّي.

لم تتحقق الوحدة الموضوعية في موضوعات البحر جميعا، وأما الوحدة العضوية فقد تجلّت في التجارب الحية التي درسناها.

تنوعت مصادر البحث بين الدواوين وكتب التاريخ والتراجم والدراسات الأدبية والنقدية في المطبوع والمخطوط، والكتب والمجلات حتى بلغت نحوا من خمسين.

(١) تمهيد:

صلة الشاعر العربي بالبحر صلة قديمة، وعلاقته به متينة، تتوغل في جذورها إلى ما قبل الاسلام، فقد انعكس البحر على قرائح شعراء الجاهلية، فوصفوا البحر واستمدوا منه صورهم الشعرية، وليسوا في ذلك بدعا، لأن «أدب البحر موضوع خصب يتصل بالحضارة الانسانية بوجه عام، وبالحضارة العربية على وجه الخصوص، بل إن أدب البحر العربي يتميز بالثراء والتنوع في المادة الادبية»(١)

وظهرت الدعوة المرابطية بالمغرب على يد مؤسسها عبدالله بن ياسين (ت٤٥١هـ) وقد وليه في الدّعوة أبوبكر بن عمر اللمتوني الذي أنهى الدعوة لابن عمه يوسف بن تاشفين وله يعزى الفضل في نشر الجهاد الاسلامي وقد نقل عاصمة الدولة من فاس إلى مراكش سنة ٤٥٤هـ.

أما الأندلس فقد خضعت لحكم المرابطين سنة ٤٨٤هـ، وكانت الجزائر الشرقية آخر ما سقط بأيديهم سنة ٥١٢هـ، ويلاحظ أن تاريخ الأندلس والمغرب يوشك أن يتوحد بتولي يوسف ابن تاشفين حكم الاندلس، واستمرار نفوذ المرابطين حتى عام ٥٤١هـ، حيث يبدأ عهد الموحدين، إلا أن دول شمال أفريقية لم تخضع جميعها لحكم المرابطين، فقد أقام الصنهاجيون دولة بني حماد في الجزائر خلال حوالي قرن ونصف (٤٠٨ - ٥٥١هـ)، واتسعت رقعتها إلى القيروان وتونس، وانتهت بمجيىء الموحدين (دول الطوائف ١٦، المغرب عبر التاريخ ١٤٨، دولة بني حماد ٤٧، ١٩٨)

(*) اخترنا هذين العهدين في دراسة شعر البحر، وذلك لتألق الشعر فيهما ولظهور أعلام الشعراء فيهما. وقد اختلف الباحثون في تحديد عصري الطوائف والمرابطين. والذي نختاره رأي محمد عبدالله عنان الذي عدّ سقوط الدولة العامرية بداية عهد الطوائف بالاندلس، وذلك سنة ٣٩٩هـ، وقد شهد القرن الخامس الهجري، ظهور الزناتيين بالمغرب، وأشهر بطونهم مكناسة، وبنويفرن، ومغراوة، وبرز الصنهاجيون بأفريقية بعد أن انتقل منها المعز لدين الله إلى مصر. وبسطت صنهاجة نفوذها على أجزاء شاسعة من شمالي أفريقية، فاستقرت بالقطر التونسي والجزائر، فيما بين مسيلة وميلة، شمالاً وفي المغرب في منطقة الريف إلى جانب مصمودة.

إن دراسة «أدب البحر»[٢]، بفنونه المتعددة وأنماطه المختلفة من شعر ونثر فني، وقصة، ورواية حظيت بعناية عدد من الدارسين، من أجانب وعرب، وكان نصيبها من المستشرقين أكبر وأعظم، وهو غالباً ما يأتي قسيماً لموضوع عام عالجته الاقلام هو أدب الرحلات[٣].

والوقوف عند دراسة «أدب البحر» ينبثق في محورين رئيسين: أحدهما: كون الأدب أداة من الأدوات التي تحمل نفحات جمالية ترتقي بالنفس الانسانية وتحقق لها عنصر المتعة والتذوق.
والآخر: أن هذا الأدب يعد من الوثائق التاريخية والجغرافية والعلمية، التي تثري معلوماتنا وتكمّل مصادرنا التاريخية، والجغرافية، في هذا الميدان، وللأسباب في اضطلاع أدب البحر بهذه المهمة، إذ لمّا يزل ميدانا خصبا، ومجالاً ثراً، يمدنا بالمعلومات التي لاغنى لنا عنها - من خلال النصوص التي تحدثت عنه.

كانت للشاعر العربي - قبل الاسلام - صلة قوية بالبحر تدلنا عليها، ما وصل من معلومات تاريخية فضلاً عن الشعر نفسه، فلما جاء الاسلام زادت صلة العربي بالبحر، بدعوته، واندفاع أبنائه لنشر الدين الجديد، ونشاط حركة الفتوحات الإسلامية، وكانت الأندلس واحدة من تلك البلدان التي فصل البحر بينها وبين الفاتحين، ولقد كان فاتحو الأندلس هم ثاني الجماعتين اللتين أخبر عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو معدود في باب معجزاته - في حديث شريف طويل له في فضل الجهاد في البحر، ذلك مارآه ابن حزم الاندلسي في رسالته في فضائل الاندلس[٤].

هذا فضلاً عن دعوة القرآن الكريم الصريحة إلى ركوب الجواري المنشآت في البحر كالأعلام[٥]، فالله هو الذي سخَّر البحر لاجراء الفلك عليه والانتفاع بما فيه.

لقد اختلفت بيئة الأندلس اختلافاً واضحاً عن بيئة المشرق الإسلامي، وهذا الاختلاف هو السر في ضخامة النتاج الشعري المقترن بالبحر قياساً بالنتاج المشرقي، فقد كان أول عهد المسلمين بالاندلس (٩٢هـ - ٧١١م) حيث قام طارق بن زياد بجواز البحر في حملته المشهورة، وإن كانت فكرة فتح الأندلس قديمة تمتد إلى أيام الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)[٦].

إن النظرة العجلى إلى خارطة الأندلس وشبه الجزيرة الأيبيرية، تبين إحاطة البحار بها من كل جانب باستثناء سلسلة جبال البُرت أو البُرتات، التي تفصلها عن جنوب فرنسا.

تقع سواحلها الشمالية، والشمالية الغربية، على المحيط الأطلسي، كذلك تقع سواحلها الغربية على المحيط الأطلسي ويعرف في المصادر العربية بـ : البحر الأخضر، أو البحر المحيط، أو البحر المحيط الرومي، أو البحر المظلم أو بحر الظلمات.. أما شواطئها الشَّرقية والجنوبية الشرقية فتقع على البحر الأبيض المتوسط، ويسمى أيضاً: البحر الرومي، أو البحر الشمالي أو بحر تيران(٧).

وتجري في الأندلس أنهار كثيرة أشهرها: ثمانية، اربعة، تجري غرباً تصب في المحيط الأطلسي، وأربعة تجري شرقاً، وتصب في البحر المتوسط، وتجدر الإشارة إلى أن عدداً منها صالح للملاحة، وهو بذلك يقترب من البحار في آثاره وانعكاساته على الشعراء.

لقد أدت إحاطة الأندلس بالبحار وكثرة الأنهار، إلى عناية حكام الأندلس بصناعة السفن والأساطيل، لأجل صيانة سواحل الأندلس من الغارات والهجمات من الأعداء، وكذلك حماية جزر البحر الأبيض المتوسط التي خضع عدد منها إلى سلطان الأندلس، مدة طويلة، مثل جزر البليار، (مَيورقة ومنُورقه ويَابسة)، وغيرها فضلا عن ضرورة اتصال الاندلس ببلاد المشرق والبلاد الأوربية الاخرى، كل ذلك عزز من أهمية خوض البحار وحمايتها وطَوَّر من العلوم البحرية...

فقد اشتهرت مدينة المرِيَّة بصناعة السفن منذ عهد مبكر، وقد انتقلت كثير من مصطلحات البحرية الاندلسية إلى أوروبا(٨).

ويلمح الباحث أن ذكر البحر في أشعار الأندلسيين كان علامة واضحة في تصحيح نسبة أشعارهم إليهم، ونفيها عن غيرهم على نحو ما يروي المقري صاحب نفح الطيب، أنه شك في نسبة أبيات جاءت منسوبة لمغربي فقال: «وأظن أن المغربي أندلسي، ولذلك أدخلته في أخبار الاندلسيين(٩) قال ذلك في جملة أبيات يمدح فيها الملك الكامل الأيوبي «لئن صَّدني البحر عن موطني».

ولم يقتصر الأمر على الأندلس بل جاوزه إلى المغرب لدى موازنتها ببلاد المشرق، فقد حازت هي الأخرى شرف محاذاتها البحر، على نحو مانجده في أبيات ابن حمديس التي يجيب فيها على بيتين كتبهما شاعر مغربي فيقول من قصيدة: (١٠)

وفي المغرب البحرُ المحيط وقد علا على نيل مصر منه مدُّ غَواربه
ولّما انْثنى بالجزر أبقَى لديهمُ أحادِيثَ تُرْوَى من صنوفِ عجائبه

إن عدداً من الدارسين نوَّه بأهمية دراسة شعر البحر في الأندلس، ومنهم الدكتور مصطفى الشكعة حيث أشار إلى أن شعر البحرية موضوع جدير بأن يحتفل به(١١).

جاءت قصيدة البحر نابعة من بيئته الجغرافية التي تمتع بها، حتى لقد رأى الدكتور أحمد هيكل، أن هذه الظاهرة في شعر ابن دراج، إقليمية محلية(١٢)، ورأى الدكتور إحسان عباس، أن السِّمة البحرية هي إحدى ثلاث سمات تركتها البيئة الجغرافية في شعر ابن حمديس(١٣).

وإذا كان شعراء المشرق قد وصفوا الأنهار والغدران والنافورات، فإنَّ توقفهم عند البحار لم يكن ملياً وذلك أمر طبيعي لضعف اتصالهم بالبحار، وبعدهم عنها، ولقد أفاضت الدِّراسات التاريخية في هذا الميدان، إفاضة واسعة، في بيان الصّلة التاريخية القوية بين المسلمين والبحار في الأندلس والمغرب، حتى ألّف الدارسون المحدثون في ذلك الكتب والمصنفات(١٤).

وعلى أن الأدبين المغربي والأندلسي، لم يتطابقا، بل كان كل منهما قائماً بنفسه كما يرى عبدالله كنون(١٥)، فإنهما نشأ متجاورين... وجاءا متناظرين في كثير من موضوعات الشعر على نحو مالمحه محمد بن تاويت(١٦)، ولعل وحدة المؤثرات البيئية والسياسية كانت أحد أسباب ذلك، وتاريخ الأندلس والمغرب يوشك أن يتوحد، بدخول يوسف بن تاشفين إلى الأندلس، فالمغرب يحمي الأندلس من الأعداء، والأندلس تبذل ثقافتها ومعارفها للمغرب(١٧).

ولدى استقراء النصوص الشعرية التي اتصلت بالبحر، ودارت حول فلكه ـ مما وقفنا عليه تجلى لنا ضخامة نِتاج شعر البحر وكثرة شعرائه، فكان أمامي عدة اختيارات في منهج ينتظم عقد البحث ويسلك حباته، حتى ترجح لديّ المنهج الذي ينسجم مع طبيعة تلك النصوص حجماً ونوعاً ـ على نحو ما أرانا الله صوابه ـ بحيث يكون متوازناً فجعلته في ثلاث محاور رئيسة، هي:

١ ـ الرهبة من البحر.
٢ ـ وصف البحر ورحلته.
٣ ـ معارك الجهاد البحرية.

وكان أوسع هذه المحاور، ثانيها، إذ تفرَّعت جذومه إلى ثلاثة فروع تتصل بشعر المديح، والغربة والحنين والرثاء، وقد أعقبت هذه الدراسة وقفة عند أبرز السّمات الفنية لها..

ويلاحظ أنه قد يحصل نوع من التداخل بين المحورين الأولين، إلا أنَّ فاصلاً واضحاً يميز بينهما، إذ أن شعراء المحور الأول لا يلتفتون إلى الوقوف عند تفصيلات عن البحر تتصل بطبيعته وسماته بقدر ما يظهرون من الجزع، والخوف، والحزن، والهم من عواقبه السيئة.

كذلك لم نجعل المحور الثالث موضوعاً من موضوعات رحلة البحر لاختلاف الهدف في رحلات البحر التقليدية عن ركوب البحر بقصد الجهاد والجلاد.. مما جعل معاني الشعر تختلف وفقاً لذلك.

١ ـ الرهبة من البحر

وقف شعراء الأندلس في أشعارهم البحرية، إزاء البحر، في نظرة متأملة تجعله مركزاً من مراكز الصّراع، فهو مستقر الأهوال والخوف والرعب، إلى جانب كونه يحتجنُ الخيرَ في أغواره وقِيعانه، وهو سبيل الوصول إلى الغايات والآمال العريضة حين ينقطع البر وتتعذر رحلته.

وعلى أن رحلة البر لم تكن مذلّلة، موطّأة، إذ هي لا تخلو من مشاق

وصعوبات، فإنّ رحلة البحر كانت أشقّ، وأخطارها كانت أعظم، ولذلك استقر في رُوع الكثيرين الرهبة من البحر، والوجل منه وليس الأمر خاصاً بالاندلسيين، بل هو أمر جامع تشير إليه الأساطير والأمثال قديماً، فقد قيل: [18] «ثلاثة لا أمان لهم: السلطان، والبحر، والزمان» وقالوا: «جاوِرْ ملكاً أو بحراً»، وذلك فيما ورد في السلطان وصحبته.

إن الدّارس يجد إحساس «الرهبة من البحر» شعوراً عاماً، ومفهوماً مطَّرداً، في أشعار الأندلسيين وقد تفنَّنوا في عرض هذا المفهوم، وتبارَوا في ذلك، فكان نصيب الشعراء منه قدراً متفاوتاً. . .

هذا أبو الوليد هشام الوقّشي (ت٤٨٩هـ) يعزم على ركوب البحر إلى الحجاز، لكن يهوله ذلك فيقول:

لا أركبُ البحرَ ولو أنني ضَربتُ فيه بالعَصا فانفلقْ
ما إن رأتْ عيني أمواجَه في فِرَقٍ إلا تناهى الفَرَقْ[19]

ويقترب من هذا التعليل ما جاء في أبيات ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ)، الذي عاش الاضطرابات والفتن في القيروان، لكنه لم يَجُزْ إلى الأندلس بعد أن دعاه لذلك صاحبه وصديقه ابن شرف، وهو صاحب البيتين اللاذعين في هجاء ملوك الاندلس[20]، ولعله لم يكن زاهداً فيها عند ملوك الأندلس ومترفعاً، بل كان خائفاً من ركوب البحر، عازفاً وصادِفاً عن أهواله، إذ هو يصرح بذلك في موقف آخر فيقول: [21]

البحر صعبُ المذاقِ مُرٌّ لا رَجَعت حاجتي إليه
أليسَ ماءٌ ونحنُ طِينٌ فما عسى صَبرُنا عليه

ولم يكن هذا الموقف خاصاً بابن رشيق، بل نجد عدداً من الشعراء، تقعد به همته عن ركوب البحر، على الرغم من الخير الذي ينتظره بعد الصبر على رحلة

البحر، فقد بعث المعتمد بن عباد خمسمائة دينار إلى أبي العرب الصقلي، وهو بصقلية، وأمره أن يتجهز بها ويتوجه، وبعث مثلها إلى أبي الحسن الحصري، وهو بالقيروان، فكان الموقف واحداً منهما على اختلاف بلديهما فكتب الحصري القيرواني:

أمرْتني بركوب البحرِ أقطعه ... غيري - لك الخير - فاخْصُصه بذا الداء
ما أنتَ نوحٌ فتُنجِيني سفينتُه ... ولا المسيحُ أنا أمشي على الماء[٢٢]

وكتب أبو العرب مثل ذلك[٢٣]. ولقد اكتفى بعض الشعراء بتحذير المغامرين من ركوب البحر، وإنّ خسارة ما يترتب على ركوبه تبلغ ضِعف عطائه، على نحو ما نجد في أبيات ابن أبي الصلت الأندلسي (ت٥٢٩هـ):

يا من يَخوضُ البحرَ مقتحماً ... ما بَينَ لجتّهِ إلى الشَّط
لا يطمعنَّكَ ما حَبَاكَ به ... فالبَحرُ يأخذُ ضِعفَ ما يُعطي[٢٤]

ويتجلى هذا المعنى أوضح في بيتين لابن خفاجة الأندلسي (ت٥٣٣هـ)، يغضّ فيهما من البحر ويجعل ما يأتي منه من خير، عسيراً، وصعباً:

يامَادحَ البحرِ وهو يَجهلهُ ... مهلا فإني خَبرتُه عِلما
فائدهُ مثل قعرِه بُعداً ... ورِزقهُ مثل مائِه طَعْما[٢٥]

وفي البيت الثاني، إشارةٌ إلى ما كان يدرك الراحلين في رحلاتهم البحرية الطويلة من أذى، وما يتحقق منه ليس يسيراً بل محفوفاً بالخطر، والرزق الذي ينال به ليس عذباً بل كَدرا، مالحا وكان يتفق أنْ ينال راكب البحر عطش، على نحو ما يصرح بذلك غالب بن عبدالله بن عطية في أبيات يقول فيها:[٢٦]

إنّا إلى الله لقد نَالَنا ... همٌ يذيبُ القلبَ إحراقُهُ
ياعجباً مما دُهينا به ... نَسكن في الماءِ ونشتاقُهُ

ويكثر ترداد ملوحة البحر وطعمه الأُجاج، وعلل البحر التي تتصل بالرحلة فيه، فقد كتب أبو مروان عبدالملك بن غصن في طريق الحج إلى أحد القضاة: (٢٧)

ياقاضياً عدلاً كان إمامه ... ملكٌ يَريه واضحَ المنهاج
كانت بعبدك في بلادك عِلَّةٌ ... قعدَتْ به عن مقصدِ الحجّاج
واعتلَّ في البَحرِ الأجاج فكنْ له ... بحراً من المعروفِ غيرَ أُجاجِ

لقد اقترنت الرهبة من البحر بما يكتنفه من أهوال وصعوبات، وهي تتصل باضطراب أمواجه، لاسيّما السُّفن تعتمد على الرّياح، بالدّرجة الأولى، واحتمال ضلال المراكب في اتجاهها الذي تقصده في عرض البحر على نحو ما أورده ابن جبير الأندلسي في رحلته المشهورة(٢٨). فواقع الرحلة البحرية كان محاطا بكثير من الصعوبات، وانعكس ذلك على الوقائع البحرية التي صوّرها الشعراء.

كذلك كان الخوف من سفن القراصنة وأساطيل الأعداء، مما يجعل خوض البحر محفوفاً بالمكاره والأهوال، لكن خوفاً آخر كان يحدوهم إلى الصّبر على لأواءِ البحر وغلُوائه، ذلك الخوف متصّل بدخول العدو بلادهم وعبثه وعيثه في أراضيهم، وأبيات ابن العسال (ت٤٧٨هـ) مشهورة ذائعة، وفيها يدعو إلى الرحيل بعد سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ، ويشير إشارة واضحة إلى عظيم خطر العدو فيقول: (٢٩)

ونحن بين عدوٍ لا يُفارقنا ... كيفَ الحياةُ معَ الحيَّاتِ في سَفَطِ؟

وإزاء هذا الصراع الشديد، بين الخوفين من المصير المقترن بهما، خوف ينالهم من العدو في إقامتهم، وآخرُ مما ينالهم في البحر، أدّى ذلك إلى اضطراب نفسي، وقلق وجزَع، كان يحتاج من صاحبه إلى إيمان عميق وعقيدة راسخة بالقضاء والقدر، تمنح صاحبها الطمأنينة والاستقرار، وهذا التصوُّر تنطوي عليه قصيدة يحيى الجزار التي جاءت في خمسةٍ وثلاثين بيتاً، وقد قالها في رجل من سَرَقُسطة، رَحَل

فاراً منها حذاراً من العدو، وأظهر في فراره السير إلى الحج فلما أبصر البحرَ جزعَ وانصرف، يقول الجزار[30]:

المـرءُ تحـتَ تـصـرفِ الأقـدارِ لا يَدفعُ المخدورَ طولُ حِـذارِ
يـامن يَفـرُّ من القَضـاءِ بنفسـهِ هـيهـاتَ مـن لمقيَّـدٍ بـفِـرار؟
تَبغي النَّجاةَ لها من الدُّنيا، وهـل يَنجـو قَنيصٌ من مَخالبِ ضَـارِ؟
قـد فـرَّ من قَـدَرٍ فليسَ فِـرارهُ إلا عـلى قَـدَرٍ عـليـه جَـار
والبحـرُ أَصعب مِيتـةُ لغـريقِـه مـن مِيتَـةٍ بـعـوامـلٍ وشِـفـارِ
أوليسَ أفضـلُ أن أموتَ مُجاهـداً من أن أمـوتَ لُقي غَـريق بحـارِ

والقصيدة متميزة في موضوعها، وطريقة معالجتها، لجانب الصراع العميق، والتستر بستار المواربة والالتواء، وإظهار خلافِ الحقيقة.

وإذا كان الحصري القيرواني قد اعتذر عن الجواز إلى المعتمد بن عباد، فإن مصيبته في وطنه حملته على ركوب الأخضر الطامي الرهيب، فقال في ذلك مشتاقاً إلى وطنه برماً بالغربة التي هو فيها[31]:

لـولا ريـاحُ ريـاحُ لم أكُ أمتـطي ذَا الأخضرَ الطَّامي وذاكَ الأحوصَا
وطنٌ بغـيرِ غِنى أحبُّ إلى الـفتى من غُـربـةٍ تُغنيـه إذ لا مَخلصَـا

ومثل معاناة الحصري، وأشدُّ منها كانت معاناة ابن حمديس الصَّقلي، لا سيما، بعد تجربة غرق جاريته الأثيرة إلى نفسه «جوهرة» وفي غربته ـ في الاندلس ـ تصل إليه رسالة من ابن عمته أبي الحسن علي بن حسين الصقلِّي يدعوه فيها للقدوم، فيحول البحر بينهما، ويصور ذلك في قصيدته الميمية، فقد أوشكت أخطار البحر ـ التي سلبته أعزَّ مخلوقةٍ ـ أن توردِه موارد الموت الزؤام، فهو إذن لم يَسلُ عنهم، لكن سلطان البحر حال دون ذلك[32]:

فـلا تحسبـوني قـد تَسلَّيتُ عنكم بـطيب سَمـاع أو بكـأسِ مُـدامِ

ألم أركبِ النَّفسَ اشتياقاً إليكمُ غَوارِبَ مُخضرِّ الغَوارِبِ طامِ؟
ألم أفقِدْ الشَّمسَ التي كانَ ضوؤها يُجلِّيَ عن الأجفانِ كلَّ ظلامِ؟
طمعتْ بهذا كلِّه عن لقائِكم لتغرَمَ نفسٌ أُتلفت بغرامِ

وتتضح أبعاد الصراع النفسي الذي عانى منه الشاعر، وألجأه إلى ركوب البحر في أبيات أخرى يقول فيها: (٣٣)

أراكَ ركبت في الأهوالِ بَحراً عَظِيماً ليسَ يُؤمَنُ من خُطوبِهِ
وأصْعَبُ من ركوبِ البحرِ عندي أمورٌ ألجأتكَ إلى رُكوبِه

وغالباً ما كانت تدور أشعار المناظرات والمجاوبات، في موضوعات حيوية، وذات وقع من نفوس الشعراء، ولقد كان «البحر» أحد تلك الموضوعات التي رَاق للشعراءِ أن يتباروا فيها، على نحو ما يحدثنا ابن حمديس في ديوانه في حوار جرى بينه وبين ابن المقترح، وفحوى الحوار، إظهار البراعة في تصوير أهوال البحر والاعتماد في ذلك على حُسن التَّعليل، ومحورها يقوم على أنّ الإنسان مخلوق من طين، والماء يذيب الطين، ولذلك فهو عرضة للعطب والموت، ويلاحظ أن ابن المقترح التزم البحر دون القافية في المعنى الذي نظم فيه ابن حمديس. قال ابن حمديس: اجتمعت مع أبي الفضل جعفر بن المقترح بسبته، فذكر لي قول ابن رشيق يصف البحر: (٣٤)

البحرُ صَعبُ المذاقِ مرٌّ لا رَجَعتْ حاجتي إليه
أليسَ ماءً ونحن طينٌ فما عسى صَبرُنا عليه

فقال لي: ياأبا محمد: تقدر على اختصار هذا المعنى؟ فقلت: نعم، وأنشدته:

لا أركبُ البحرَ خوفاً عليَّ منه المعاطِبْ
طينٌ أنا وهو ماءٌ والطّينُ في الماءِ ذائبْ

فأنشدني لنفسه في المعنى :

إن ابـن آدمَ طـينٌ   فـالـبحـرُ مـاءٌ يـذيـبُـه
لـولا الـذي فيـه يُتـلى[٣٥]   مـا جـازَ عنـدي رُكـوبُـه

فأنشدته لي :

واخضرَ لـولا آيـةٌ مـاركبتُـه[٣٦]   وللّه تصريفُ القضاءِ كـما شَاءَ
أقول حِذارا من ركـوبِ عُبابـهِ   أيارَبّ، إنّ الطّينَ قد رَكِبَ الماء

ويبدو أن هم الشعراء وسعيهم، كان يهدف إلى محاولة استيفاء المعنى وإيجازه أو اختصاره على نحو ما عبّر عنه ابن المقترح، وقد حلا لهم أن يجعلوا البحر مادة لهذا الغرض، فكانت المقطوعات الأربع، كل اثنتين في معنى متقارب، والثانية مع الأولى، والرابعة مع الثالثة.

٢ ـ وصف البحر ورحلته :

يأتي وصف الشعراء للبحر ورحلته، محوراً ثانياً من محاور شعر البحر الثلاثة، وأول ما يلاحظ فيه أن الشعراء قلَّما يمحضونه بالوصف في قصائد طويلة مفردة فيه، يقفونها عليه بل جلّ ما يرد من أوصافه، يقتصر على المقطعات الشعرية، وكأنّ شعور الرهبة كان مسيطراً وراجحاً على الطمأنينة، إذ سرعان ما تَجِفُ القلوب وتخفق، ويسدل الستار على لوحة البحر الفنية، باستثناء تجربة البحر الخاصة عند ابن حمديس.

ولقد التفت عدد من الشعراء إلى جمال البحر، فحاولوا أن يسبِروا غوره، ويَبلغوا مداه في أشعارهم، إلا أنَّهم سَرعان ما شَعَروا بعَجزهم، وإخفاقهم إزاءَه، حين حاولوا أن يتحدثوا عن أبرز ملامحه، وذلك العسر وتلك الصعوبة، ناجمان عن اجتماع الاضداد فيه، والتقاء الصفات المتناقضة في طبيعته، حتى عَمِي على أبي الصّلت كنهه، واستغلقت عليه حقيقته فلاذ عنه بالفرار:

تَنَاهى البَحرُ في عَرضٍ وطُولٍ   وليس لـه على التحقيق كُنـهُ
وأعجبُ كلّما شـاهـدتُ فيـه   سَـلامَتَنا عـلى الأهـوالَ منـه
فـحسبِي أن أراه مـن بَعيـدٍ   وأهربَ فوق ظهرِ الأرضِ عنه[٣٧]

إن ابن خفاجة الاندلسي (ت٥٣٣هـ) مع شدة ولوعه بالطبيعة، وإطالة تأمله لها، منح البحر حظاً ضئيلاً، من حيث كمية ما نظم فيه، إلا أن هذا القليل الذي حواه ديوانه، دلّ على تمكن الشاعر وبراعته، بحيث فاق لِداته وأترابه، في دقة التصوير، وذلك ما نجده في مقطوعة شعرية بثلاثة أبيات، يجسم فيها صَخَبَ الأمواج، واضطرابها واجتماعها تارة، وتفرقها أخرى، وكأنه ينظر إليها من مكان عالٍ فقال: [٣٨]

ولجـةٍ تَـفـرق أو تَـعـشَـقُ   فـما تَـنِي أحشـاؤهـا تخـفِـقُ
شَـارفتها وهـي بمـا هـاجَهـا   مـن الصَّـبا مُـزبِـدةٌ تـقـلَقُ
فخِلتني في شَـطِّهـا فـارِسَـاً   قُـرِّبَ مـنـه فَـرسٌ أبـلَقُ

وإذا كان ابن خفاجة قد نظر نظرة اعجاب للبحر، ولم يغضَّ من شأنه، فإنه في مجمل ما نظم كان مستسلماً لأهواله مذعناً لسلطانه، ولكأنّه في رحلة بحر، يحدّثنا عمّا يلقاه عن كَثب، فالزَّبد الذي يعلو أمواجه، قذى في العين، وأهواله أذى في النّفس، لاسيما إذا اجتمعت إلى ظلمته ظلمتان فكانت ثلاثا، موجاً، ومطراً، وهَمّا: [٣٩]

كم تمـلأ العينُ من قَـذَاهـا   وتَـشتـكي الـنَّفسُ مـن أذاهَـا
بـحـرٌ ونـوءُ وطُـول هَـمٍّ   ثَـلاثَـةُ أطـبـقَـت دُجـاهَـا
فـلو يـدُ المـرءِ وهـي مـنـه   أخـرَجَـهـا لم يَكـدْ يَـرَاهَـا

وفي الأبيات كما هو واضح، اقتباس من معنى القرآن الكريم في عظم الظلمات: «أو كظلماتٍ في بَحرٍ لُجّيٍ، يَغشَاه موجٌ من فَوقِه موجٌ، من فوقه

سَحَابٌ، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكدْ يَراها، ومن لم يجعَلِ اللَّهُ له نُوراً فما له من نور»(*)

وإزاء هذه الاهوال، وذاكَ الرُّعب والهلع، الذي يكتنف رحلة البحر، لا يجدُ الشَّاعر مَحِيدا عن الإقلاع والإعراض عنها، فقد قُدِّر للشاعرِ أن يركب البحر، فعاش تجربة الرحلة على نحو ماحكاه في قصيدة أخرى(٤٠)، لكنه أعلن التَّوبة عن ركوبها فقال: (٤١)

لَئِن كنّا ركبناهَا ضلالا ... فيا لَلّه إنَّا تائبونَا
فأخرِجنَا على المرَغوبِ فيها ... فإنْ عُدْنا فإنّا ظالِمونا

وفي الصورة المجردة للبحر، التي تستوعبها المقطّعات الشعرية، دون أن تكون مقترنة بتجربة شعورية عميقة، يلقانا ابن حمديس في مقطوعة، على أنَّها مما قال في البحر: (٤٢)

ومُنسَّمَ الآذىِّ يَعنقُ شَطُّهُ ... من نَكبةٍ هو جاءَ حُلَّ وَثَاقُها
وكأنّما رَأتِ الحِقاق فعَجعَجَتْ ... فيها القُرُوم وأزبَدَتْ أشداقُها

وتتسع هذه الصورة عند شاعر مغربي، هو ابن شقرق السبتي ـ أدرك عصر الموحدين ـ من قصيدة يخاطب بها صاحباً له، والسفينة عنده تمرّ رخاء مع الرياح: (٤٣)

فاركبْ على اسمِ اللَّهِ متنَ رِكوبةٍ ... خَضراءَ تَسبحُ فوقَ لُجٍ مُترَعِ
تخِذتْ جَناحاً مثل قَلبي خَافِتاً ... وحَوَتْ قَوادِمَ كلِّ طيرٍ مُسرِعِ

والسفينة شفوق رحيم بركابها:

فكأنَّما رُكبانُها أبناؤها ... تحنو عليهم رأفةً بالأضَلعِ

(*) سورة النور، آية (٤٠)

إن جُلَّ أوصاف الشعراء للبحر، جاء مقترناً برحلةِ البحر[٤٤]، وما يتصل بها من ذكريات عزيزة يدعونها فيها، إذ ينتقلون من عالم إلى عالم، عالم موطّأ مذلل، وآخر وعر غامض، فيستغرقون في قصائدهم أجزاء التّجربة الشّعورية ولا يَغْفَلون عن تفصيلاتها، ولا سيما عند ابن حمديس، ويقترن ذكر رحلة البحر بموضوعات الشعر العربي بشكل عام، وتشتد الصلة في ثلاثة منها، هي: قصيدة المديح، وقصيدة الشوق والحنين، وقصيدة الرثاء.

أ / في قصيدة المديح:

درجت القصيدة العربية ـ في باب المديح ـ على الاستهلاك بالغزل، والانتقال منه إلى وصف الرحلة التي قطعها الشاعر، قاصداً الممدوح، وجاءت رحلة الشاعر الأندلسي، هي الاخرى في هذا النّسق، إلا أن الشّاعر سلكَ سبيلين، مخالفاً بذلك شعراء المشرق، حين جعل رحلته بَرِيَّةً تارة وبحرية تارةً أخرى، والشّاعر أحد اثنين، فإما أن تكون رحلته تقليدية، وهو القليل أو تأتي حقيقية ناجمة عن معاناة الشّاعر ومعايشته ـ عن كثب ـ لمتاعبها ووعثائها.

ومن الشعراء الذين عرضوا لرحلة البحر في قصيدة المديح، واتخذوا سبيلهم فيه سَرَبا، ابن دراج القسطّلي (ت٤٢١هـ)، فقد قدم على خيران العامري، سنة ٤٠٧هـ وكان خيران قد استقل في حكم المرِّية من سنة ٤٠٥ إلى ٤١٩هـ، ولم يكن هذا التوقف عند البحر عفوياً وعابراً، فقد خاضَ الشّاعر غماره، وقطع أهواله في عهد قريب من نظم القصيدة، حيث اجتاز البحر سنة ٤٠٤هـ قاصداً عليّ ابن حَمّود حاكم سبتة. . . إلا أنَّه سرعان ما عاد إلى الاندلس، يبدأ الشاعر قصيدته ببيتين في الدعاء للممدوح، يدلف بعدهما إلى رحلة البحر فيقول:[٤٥]

لك الخيرُ قد أوفى بعهدِكَ خيرانُ ... وبُشراكَ قد آواكَ عزٌ وسلطانُ
هو النُّجحُ لا يُدعَى إلى الصّبح شاهد ... هو الفوز لا يُبغى على الشّمس برهانُ
إليك شحنّا الفُلك تَهوِى كأنَّها ... ـ وقد ذعرتْ عن مغربِ الشَّمس ـ غربانُ
على لُجج خُضرٍ إذا هبَّت الصَّبَا ... تَرامَى بنا فيها ثَبيرٌ وثَهلانُ
مَوائلُ تَرعى في ذُرَاهَا مَواثِلاً ... كما عُبدت في الجاهلية أوثانُ

ولا يستغرق الوصف الخارجي للرّحلة كثيراً، حتى يختلط عنده بلواعج الشوق والحنين إلى الأحبة والخلّان والأوطان، متحملاً من أجلهم المصائب، مستسلماً لما يخفيه البحر من مفاجآت فيقول:

يُرددّنَ في الأحشاءِ حَزَّ مصائبٍ ... يـزيد ظـلاماً ليلُهـا وهي نيـران
إذا غِيضَ ماءُ البحرِ منها مَددتُـه ... بـدمـعِ عُيـونٍ يَمتـريهنَّ أشجـانُ
وإن سَكَنت عنا الرياحِ جرى بنـا ... زفـيرٌ إلى ذكـر الأحبـة حَنَـانُ
يَقلنَ ومَوجُ البَحرِ والهَمُّ والدُّجى ... تَمـوجُ بنـا فيهـا عيـونٌ وآذانُ
ألا هل إلى الدُّنيا مَعادٌ؟ وهل لنا ... سوى البحرِ قلبٌ أو سوى الماءِ أجفانُ؟

وابن درّاج في أبياته المذكورة آنفاً، لا يختلف كثيراً عما تقدم عند ابن خفاجة، حين جعل مصائب البحر ثلاثاً، وهو يخاطب ممدوحه من زاوية قريبة، باتخاذِه البَحر سبيلاً للرحلة، وذلك لصلة (خيران) القوية بالبحر، فقد كانت المريَّة يومها، من أهم مدن الأندلس وأقواها في الأساطيل البحرية، وهي كذلك عريقة بصناعة السفن...

وفي ديوان ابن دّراج قصائد بحرية أخرى، منها قصيدة ميمية يوجهها إلى حاكم سَرَقُسطة منذر بن يحيى التجيبي، ممدوحه الأثير ـ بعد المنصور بن أبي عامر ـ أقام في كنفه حوالي عشرة أعوام، ووجَّه إليه شطراً كبيراً من شعره، يبلغ حوالي ثلث الديوان(٤٦).

وتعد قصيدة الشاعر من روائع قصائده السّياسية، وهي مطولة شعرية تتجاوز أبياتها مائة بيت، لعله يعارض فيها إحدى قصائد المتنبي(٤٧) السِّياسية، ومطلعها: (٤٨)

لعلَ سَنا البرقِ الذي أنـا شائِمُ ... يهيمُ من الـدُّنيـا بمن أنـا هَـائِمُ

وأما حظ القصيدة من البحر فيسير، ويرد في آخر القصيدة، استمع إليه يقول متنقلاً من رحلة البَرِّ إلى رحلة البَحر، إذ تعجز وتتوانى وسائل الرحلة التقليدية ـ ذات

القوائم، فيتخذ العُوج عديمة القوائم، وهي سفن ذات خصائص متميزة في السّرعة، يشبهها بالغِربان تارة وبالنعائم أخرى ولكأنّ أعاصير الشّمال، ورياحَ الجنوب خوافٍ لها وقوادم، يقول:

وكم عَجَزَتْ عنا ذَواتُ قَوائِمٍ … فعُجْبا بعوجٍ مالهن قَوائِمُ
جاجىءُ غِربانٍ تَطيرُ لنا بها … على مثلِ أطوارِ الفَيافي نَعائِمُ
لها من أعاصيرِ الشَّمال إذا هَوَتْ … خوافٍ، ومن عَصفِ الجنوب قوادم

ويحلو للشاعر أن يقدم لنا صفات السّفينة بصورة أُحجية، يسترسل بعدها إلى آثارها على نفسه:

يُحاجَى بها: ما حَاملٌ وهو رَاقد؟ … وما طائرٌ في جَوِّهِ وهو عائِم
سَرَتْ من عصا مُوسى إليه قَرابَةٌ … فطَبٌ بِفَلْقِ البَحرِ والصَّخرِ عالِمُ
أعوذُ بقَرعِ المَوجِ في جنباتها … إليكَ بنا أنْ يقرعَ السِّنَ نادِمُ
وما عَبَّرتْ عنه جسومٌ نَواحِل … وما حَسَرَتْ عنه وجوهٌ سواهم

وفي هذا الاتجاه يخاطب الشاعر بعض القضاة في سِياق المدح من قصيدة طويلة في مائة بيت مطلعها: (٤٩)

بحكمِ العَدلِ من قاضي السَّماءِ … حَبَاكَ بحقِّ أحكامِ القضَاءِ

ويسترسل في المديح من البيت الأول حتى يبلغ حوالي ثلث القصيدة فينتقل إلى الحديث عن أبناء السبيل - وهم أفراد أسرته - الذين شردتهم عن الأوطان، يد القضاء، فغشيهم من أهواله ما غشيهم ونالهم منه هم عظيم، ويبدو أنّه قدم إليه في حاجة، أراد أن ينصفه فيها يقول:

ولا كبَني سَبيل شَردَّتهم … عن الأوطانِ قاضيةُ القَضَاءِ

وألحَقَهم بِلُجِّ البَحرِ سَيلٌ   يمدُّ مدودَه فيضُ الدّماءِ
وحالَ الموجُ دونَ بني سبيلٍ   يَطيرُ بهم إلى الغَولِ ابن ماءِ
أغرُّ له جناحٌ من صَبَاحٍ   يرفرفُ فوق جُنحٍ من مَسَاءِ

وابن دراج، يكثر من ذكر أُسرته وحالتها النفسية، كلما وجد إلى ذلك سبيلا، وهو يجد في ذلك ذريعة في بث الهموم ودفع الشكوى، إلى الممدوح، حتى عُدَّ شُعوره الأسَرِي في الديوان سمةً مميزة في شعره(٥٠)، وهذه الأسرة الضعيفة لا تنسى ما كانت عليه قبل الوصول إلى الممدوح، فتستعيد ذكرياتها، يعيدها إلى تذكرها صوت الرياح المعولة في البحر، واضطراب الموج، وكدر مياهه فتحضر صورة ديارهم الخالية، وانقطاعهم عن أخوان الصفاء:

يُذكِّرهمْ رفيفُ الرّيحِ فيه   تَنَاوُحَها بَربعهم الخَلاءِ
وصَكَّ الموجُ فيها كلَّ وجهٍ   وُجوْهَا سَاورتهم بالجَفَاءِ
وعَدمهمُ صَفَاءَ الماءِ منه   بِعدمهم لإخوانِ الصَّفَاءِ

وهكذا تتبدل الحال عندهم، إلى أخرى أفضل، في كنف الممدوح ورعايته، بعد أن عاشوا حَالة الضياع والتشرد، والتشتت والتفرق:

بِحيثُ تبَدَّلوا باللَّهو هَولا   ورحبَ الماءِ من رَحبِ الفِناءِ
ومن قَصفٍ وَراحٍ، قصفَ ريحٍ   ومن لعبِ الهَوى لعبَ الهَواءِ
وكم فَاضَتْ مدامعهم فَمَدّت   عُبابَ البَحرِ بالماءِ الرَّواءِ
وكم خَاضوا كهمتهم بُحوراً   وكم عَدِموا الرَّى عدمَ الثَّراءِ

ويتصل جانب آخر من شعر البحر، بشعر المديح عند ابن دراج، لكنه يقترن بالوقائع البحرية للمدوح، وهو ما سنتوقف عنده في أشعار المحور الثالث من البحث.

ومن هذا الوادي ما خاطب به ابن خفاجة الاندلسي، الفقيه الأجل قاضي القضاة أباأمية ابراهيم بن عصام (ت٥١٦هـ)، وكانت تربطه بالشاعر صلة صحيحة، ومودة خالصة[٥١]، وهي طويلة في تسعة وأربعين بيتاً، يبدؤها بذكر أهوال رحلة الصحراء، وانقطاع الآمال فيها، ثم ينتقل إلى رحلة البحر، ويتأمل مشاهده الرائعة المروعة:[٥٢]

وأخضرَ عجّاجٍ تُدَرِّجهُ الصَّبا ... فتُتِهمُ فيه العَينُ طوراً وتُنجدُ
كأنَّ فؤاداً بين جَنبيه رَاجفاً ... يقوم به نأيُ الحبيب ويُقعِدُ
سأركبُ منه ظهرَ أدهَم رَيِّضٍ ... مُروعٍ بسوطِ الرِّيحِ يَجري فيزبدُ

ويحدثنا عن الأقوام الذين أخطأوا تقدير خلال الممدوح، ليخلص بعدها إلى الممدوح:

وإنْ عَصَفَتْ يوماً بهم ريحُ زجرةٍ ... ولَفَّهمُ خَطْبٌ يُقعقِعُ مرعدُ
فإنَّ لإبراهيمَ فيأةَ رأفةٍ ... تعودُ بعَطف الحلمِ والعَودُ أحمدُ

ومن رحلات البحر المشهودة التي كان لها دور في تاريخ الاندلس رحلة المعتمد بن عباد ملك اشبيلية سنة ٤٧٨هـ إلى المغرب، ليدعو يوسف بن تاشفين، ولم يفت الشعراء أن يسجلوا تلك الرحلة، وكان من آثارها قدوم المرابطين لنجدة الأندلس وإجلاء الخطر المحدق بعد وقعة الزلاقة الشهيرة[٥٣]، ومن هؤلاء الشّعراء أبو عبيد البكري (ت٤٨٩هـ)، وابن وهبون (ت٤٨٤هـ)، وقد وصلت للأول خمسة أبيات، وللثاني قصيدة طويلة، فهان البحر أمام البكري إزاء الأمل المعقود، فهو ينتظر الزلال والشَّهد بعد أن يَصبَر على أُجاج البحر وأهواله:[٥٤]

يَهون علينا مركبُ الفلك أن يُرى ... مُحيّا العُلا لما نَبا مركبُ الجُرد
فجُزْنَا أُجاجَ البَحرِ نَبغِي زُلالَهُ ... وذُقنا جَنَى الشَّريانِ نَبغِي جَنى الشَّهدِ

وأما ابن وهبون فرأى مباركة الله سبحانه للرحلة، ووجد في البحر قوساً وعراً غير منقاد: (٥٥)

رَكبتَ باللّه متنَ البَحر حيثُ طَمَا	آذيُّـه وبسـوطِ الـرِّيـح يَنحَصِرُ
طِـرفٌ يزلُّ عليـه سَرْجُ فـارسِـه	وليسَ ممـا يضمُّ الحـزمُ والعُـذَرُ
حملتَّ نفسَـكَ فيـه فَـوقَ دَاهِيَـةٍ	دَهيـاءَ لا ملجُأ منهـا ولا وَزَرُ
عَساكَ خِلتَ حَبَابَ البَحرِ من زَرَدٍ	تعـوَّدَ الخوضَ فيـه طِرفـك الأثِرُ

ب - في قصيدة الغربة والحنين.

الغربة والحنين هو الآخر موضوع وثيق الصّلة بالبحر، ولا سيما لمن حملته الحياة على الرحلة عن وطنه، والنزوح عن بلده، فجاءت أشعاره نفثات مصدور وأنّات مهموم، يود لو تُطوَى له البحار طياً، وتدرج له الأرض درجاً، حتى يبلغ مناه، ولكن هيهات. . . . وفي مقدمة شعراء الأندلس نرى ابن حمديس الصِّقلي، يؤلف الشَّوق والحَنين حجماً من ديوانه، مُتميزاً من حيث الكمية والنوعية، ولقد كانت النَّكبات المتعاقبة التي عاشها الشَّاعر توري جذوة عواطفه، وتؤجّج نيرانها المستعرة. . . فقد تعاورت عليه مصائب جسيمة، وهو البعيد المفارق لوطنه، مات أبوه ونفر من أهله، وماتَت جاريته الأثيرة إلى نفسه، وحلَّت النكبة بسقوط دولة بني عباد سنة ٤٨٤، وتناهى إلى سَمعه سقوطُ وطنه صقلية سنة ٤٨٤هـ، وبعد كلّ هذا وذاك أخذ السِّنّ يتقدم بالشاعر، كل ذلك جعله يستعيد ذكرياته السابقة، ويجترّ لحظات السَّعد والصّفاء - أيام الشباب - في صقلية متشوقاً إليها فقد ظلّت حاضرة في نفسه: (٥٦)

أُمثِّلهـا في خاطِـري كـلَّ سَـاعـةٍ	وأُجْرِي لها قَطرَ الدُّموعِ السواكب

كان البحر أحد أعظم الحوائل التي حالت دونه للعودة إلى وطنه وتجربته فيه مريرة على نحو ما تقدم بنا آنفا، إن الشاعر في ساعة من ساعات الحزن والألم، يشعر

بهبوط الليل عليه، وتصدم الصباح، ويحلو له أن يسكب الدموع على مرابع الصِّبْا، بعد أن أجدبت وأمحلت، ويذكر غارات النورمان المتواصلة على وطنه، ويتمنى أن يستقلّ الهلال زورقاً، فيعانق الأماني هناك، ولا تتيسر الرحلة بغيره، فلا يَلقى الحنان إلا وراء البحار:(٥٧)

دِيـارٌ تَمشَّتْ إليـهـا الخُـطوبْ كـما تَتَمشّى الـذِّئـابُ الضِّـراءْ
وراءَكَ يـابـحـرُ لي جَـنَّـةٌ لَبِـتُ النَّعيمَ بهـا لا الشَّقـاءْ
إذا أنـا حَـاولتُ منهـا صَبَاحـا تَـعَـرَّضَتُ مـن دُونِها لي مَسـاءْ
فـلو أنـني كـنـتُ أُعـطَى المُنى إذا منـعَ البَحـرُ منهـا اللقـاءْ
ركـبـتُ الهـلال بـه زَورقـاً إلى أنْ أُعـانـقَ فـيـهـا ذُكـاءْ

والبحر كثيراً ما يقترن عنده بالمشيب والغربة، وكانَتْ للشّاعر تجربتان مريرتان، واحدة حين صحب الأعراب سنة ٤٧١هـ في صحاري المغرب، في طريقه إلى الأندلس، وأخرى حين ركب ثبجَ البَحر، وكلتا الرّحلتين أثّرتا على حياته، حتى شاب ولم يكن فارقه الشّباب بعد، فقال:(٥٨)

يَشيّبني في عنفـوانِ شَبيبتي لقائِي من الأيام دَهياءَ فادِحَـهْ
وقَطعِيَ غَولَ القفرِ في مَتنِ سَابحٍ وخوضي هَولَ البحرِ في بَطنِ سَابِحهْ

وتقترن بعض قصائد ابن حمديس ـ في الشّوق إلى وطنه ـ بمراسم البطولة، ومعالم الشجاعة البحرية لأبناء جلدته في سرقوسة، ويذكر فيها بأسَهم الشديد وعدتهم الحربية، حيث استطاعوا أن يجموا ـ إلى أجل ـ جزيرتهم من غوائل النورمان وغاراتهم:(٥٩)

يَخوضون بحراً كلَّ حينٍ إليهم ببحرٍ يكونُ الموجُ فيه فوارسا
ومَربيةٍ تَرمى بمُحرِقِ نفطِها فيَغْشَى سَعوط الموتِ منها المعَاطِسا

وتجربة ابن حمديس تختلف عن تجربة شاعر الطبيعة ابن خفاجة، فهي أشدّ عُنفا، والشّاعر فيها أكثر تفاعلاً، وهي راسخة في مخيلته، الا أنَّ ابن خفاجة، يذكر أهواله دون تفاعلٍ حقيقي، مما يدل على أنّ الأمر لا يعدو الخوف والرهبة فقط، وهو يحنّ ويشتاقُ إلى الإخوان في عَرض البحر فيقول:(٦٠)

تَهادَى بي لِذِكركُمُ ارتياحُ   فبتُّ وكلُّ جانحةٍ جَناحُ
ودَمعي جِريةً، مطرٌ تَوالى   وجسمي هِزةً غُصنٌ يُراحُ
أأخواني ولا إخوانَ صِدق   أُصافي بعدكم إلا الصّفاحُ

وينتقل إلى وصف السفينة التي ركبها، في سرعة سيرها والخوف المشوب بالرحلة:

وجاريةٍ رَكبتُ بها ظَلاماً   يَطيرُ من الصَّباح بها جنَاحُ
إذا الماءُ اطمأنَ فَرقَّ خِصرا   عَلا من مَوجه رَدْفٌ رَدَاحُ
وقد فَغَرَ الحِمامُ هناكَ فاهُ   وأَتلعَ جِيدَه الأجلُ المُتاحُ
فما أدري أموجٌ أم قلوبٌ   وأنفاسٌ تصعَّدُ أم رِياحُ

ونَلقى ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ)، الذي أبغض البحر وخافه، تحمله شمال أفريقية بأحداثها وفتنها واضطراباتها، على الرحيل وركوب البحر، إلى صقلية... فيتذكر الأحبة ويستغرق في مناجاة عذبة معهم على الرّغم من سوء الأحوال الجوية، والرّيبة المفزعة من إغارة الأعداء أثناء إقلاع السفينة:(٦١)

ولَقد ذَكرتكِ في السَّفينةِ، والرَّدى   متوقِّعٌ بتلاطم الأمواجِ
والجَو يهطل والرّياح عَواصِفٌ   والليلُ مسودُّ الذوائب داجِي
وعلى السّواحلِ للأعادي غَارةٌ   يتوقعون لغارةٍ وهِياجِ
وَعلَتْ لأصحاب السَّفينةِ ضَجةٌ   وأنا وذكرُكِ في ألذِّ تَناجِ

والأمر سّيان بالنّسبة للشاعر ـ فإما أن يقدّر عليه ركوبُ البحر، وإمَّا أنَّ أحِبتَّهُ هم الذين يركبونه، وهو في الحالة الثانية يبثّ لواعج الشّوق والحَنين، لكن التجربة تختلف فهو لا يحدثنا عن البحر ـ عن قرب بل يكتفي بالوصف الخارجي وهذا ما نلمحه في أبيات ابن أبي الصلت حيث يقول في أحبة له سافروا في البحر: (٦٢)

لا أخــذ اللّهُ مــن هَــويــتــهــمُ — بـمــا جــرَى منـهـمْ عــلى رَاسي
تــوعَّــدوني بــوشــكٍ بَيـنـهــم — والبَينُ يَمحو الرَّجــاءَ بـالبـاسِ
حــتى إذا لـجَّـجـت سـفــائِـنُـهـم — ولــجَّ وَجــدى بـهـم ووَســواسـي
قلت لصحبي والــدَّمــعُ مستَبقٌ — يــظـهــر مــا بي لأعيـنِ النّــاس
مَــاركـبـوا البَحــر بــل جَــرَتْ بهم — في بحــرِ دَمعي ريــاحُ أنفــاسي

جـ ـ في قصيدة الرثاء:

من الظواهر التي تلفت النظر، ألا تجد صدى للبحر عميقاً، في قصائد الرثاء، لا سيما أن كتب التراجم، تشير إلى وفاة الكثيرين بسبب الغرق، ولعل الضياع أتى على الكثير من تلك الأصداء ـ ضمن ما أتى على كثير من تراث الاندلس ـ فتوشك أن تكون صلة البحر بالرثاء، موقوفةً على ديوان شاعر أندلسي واحد، كان أشدّهم تفاعلا معه، ذلك هو ابن حمديس، وفي مثل موضوع الرثاء تصدق العواطف وتجود، على نحو مالمحنا هذا الصدق في شعر الشوق والحنين، المقترن عنده بالغربة خلال حديثنا آنفا..

ولعل عدداً من الشعراء رأى أهوال الموت في البحر رؤية حقيقية، لكن ذلك الموت اتصل بمعاني الشجاعة والشهادة في سبيل الله، وذلك في شعر الجهاد والوقائع البحرية الذي سنتوقف عنده عّما قريب.

أما تجربة ابن حمديس فهي تختلف، إذ تقترن بوفاة إنسان عزيز عليه، وتلك هي جاريته «جوهرة» ولم تكن وفاتها أمراً عابراً شأن وفاة أي إنسان عزيز، بل تجاوز الأمر ذلك إلى شهودها بأمّ عينيه ـ في صورة مريعة ـ تغرق وتلتهمها

الأمواج، وإذا كان شأنه أن يحميها من حيف البحر وضيره، فإنه نفسه كان عرضة للموت والغرق حيث عطب المركب الذي رحل فيه، فحين نجا هو، لم تنج هي، وأُسقِط الأمر بيده، ولم يعدّ له محيص إلا البكاء، ونثر الشؤون وبث الشجون.

وتبدو لنا «جوهرة» أثيرة إلى نفسه، ذات مكانة خاصة أكثر من مكانة زوجته وأم ولديه التي لم يذكرها إلا في قصيدة واحدة رثاها فيها، وكانت نكبات سابقات سبقت نكبته بها، وقد شرع في رحلته بعد إلحاح من أهله، وتلبية لدواعي الصّبابة، ولا نعلم على وجه الدقة متى كان هذا، ولكنا نعلم أنه كان بعد نكبتين، هما سقوط دولة بني عباد، وسقوط صقلية بيد النورمان، وكانت النكبتان في عام واحد هو عام ٤٨٤هـ، ومن أين كانت الرحلة؟ لعلها كما ورد في مقدمة قصيدته الرائية، من الأندلس إلى أفريقية (تونس)[٦٣]، أو لعلها كانت في شوطين: الشوط الأول، من الأندلس إلى أفريقية، والثاني، من أفريقية إلى صقلية، ومن يومها لم يعد البحر صورة للخوف والهلع حسب، بل أصبح شفا جرف هار، استطاع الشاعر - بقضاء من الله وقدره - أن يحصِّل نفسه:[٦٤]

وأخضرٍ حُصِّلَتْ نفسي به ونَجَتْ ... وما تُفارقُ منه روعةُ رَوْعي
رغا وأزبدَ والنَّكباءُ تُغضِبُه ... كما تَعبَّثَ شيطانٌ بمصرُوعِ

وأبرز القصائد الأربع التي حدثنا فيها عن تجربته المريعة هي رائيته التي جاءت في تسعة وعشرين بيتاً في قافية مطلقة، موصولة بكاف ساكنة، تحكي احتباس الأنفاس، وحشرجة الآهات واختناق العبرات. وهي تفيض بمعاني التفجّع والنّدب:[٦٥]

أيارَشاقةَ غُصنِ البانِ ما هَصَركْ؟ ... ويا تألُّفَ نظمِ الشَّملِ من نَثَرَكْ؟
لا صبرَ عنك وكيفَ الصَّبر عنكِ وقد ... طواكِ عن عينيَ الموج الذي نَشَرَكْ
أَماتَكِ البحرُ والتيَّار من حَسَدٍ ... لمّا دَرَى الدُّرُّ منه حاسداً ثَغرَكْ

ويظهر فداحة مصيبته بها وأن لا شيء يعوضه عنها:ـ

كنتِ الشَّبيبةَ إذ ولّت ولا عَوَض   منها ولا رَبح الدُّنيا الذي خَسِرَك

ويخاطب البحر خطابا وجدانيا، في لوم وعتاب:

أقولُ للبَحر إذْ أغشيته نظري   ما كدَّرَ العَيشَ إلا شُربُها كدَرَكْ
هلا كففتَ أجاجاً منك عن أُشُرٍ   من ثغرٍ لمياءَ لولا ضَعفُها أسرَكْ
هلا نَظرتَ إلى تفتيرِ مُقلتها   إني لا عَجبُ منه كيفَ ما سحَرك؟

ويعذر نفسه لانه لم يستطع أن يدفع عنها غائلة الموت فيقول:

إن كانَ أسلَمكِ المضطرُّ عن قَدَرٍ   فلم يَخفكِ على حَالٍ ولا غدرِكْ
هل كان الا غريقاً رافعا يَدَه   نهاه عن شرب كأسٍ من بها أمركْ؟
وما نجوتُ بنفسٍ عنك راغبةً   وإنما مدَّ عُمري قاصرٌ عمركْ

وتعاوده صورة «جوهرة» حين تصله رسالة ابن عمته أبي الحسن، يقتضيه فيها العودة إلى أهله، فيصرّح برغبته في ذلك وعزمه على القدوم وثقل الغربة عليه، وشدة سروره بالكتاب الذي وصل، وأنّه غير سالٍ عنهم:[٦٦]

وما شيَّبَ الإنسانَ مثلُ تَغرُّبٍ   يَمرّ عليه اليومُ منه كَعَامِ
أتاني كتابٌ منك نمَّقْتَ خَطَّه   كما دَبَّجَ الروضُ انسجام غمامِ

ولكنه بذلك من أجل اللقاء بهم وسعه، وسعى لذلك فحال القدر دون ذلك، حيث فقد «جوهرة» وكان هو من الغرقى لكنّه أُنقذ من الموت:

ألم أكُ في الغَرقى مشيراً بواحَتِي   فلم أنجُ إلاّ من لقاءِ حِمامي؟

ألَمْ أفقِدِ الشمسَ التي كانَ ضَوؤُها يجلّي عن الأجفانِ كلَّ ظلامِ ؟
طمعتُ بهـذا كلّه في لقـائِكـم لتَـغـرَم نفسٌ أُتـلفـتْ بغـرامِ

ويفرد قصيدة بائية في رثاء «جوهرة» في ثلاثة عشر بيتاً على نسق رائيته في إظهار اللوعة والأسى، ومخاطبة البحر الذي لم يرحمها، وبتّها في حشاه، وعانقها الموج واهتصرها بضمةٍ منتزعاً منها ذمام الحياة:(٦٧)

أذكـرُهـا والـدمـوعُ تَسبِقُني كَـأنَّني لـلأسـى أجـارِيـهـا
يـابحرُ أرخصتَ غيـرَ مكتـرثٍ من كنت - لا للبيـاع - أُغليهـا
جَـوهـرةٌ كـانَ خـاطـري صَـدَفـاً لـهـا أقِـيهـا بـه وأحـمِـيـهـا
ويلي من المـاءِ والتّـرابِ ومن أحكـام ضِـدَّينِ حُـكمّـا فيـهـا

وتترك رحلة الموت آثارا عميقة في نفس الشاعر، وخطوطاً غائرة في مخيلته، إذ لا يستطيع أن يفارق صَباحة وجهها، كما لا يستطيع أن يمحو ذلك المشهد المؤلم من ذاكرته، حتى إذا رأى مشهداً قريباً منه، تداعت المعاني وتسارعَت الصور، وخطرت وفاضت قريحته، ففي الديوان أنه رأى صبياً لاعباً في البحر، ينغمس في مائه ويرتفع، ويشير أن أدركوني فإني غرقت (عابثا) فذكر بفعله هذا الجارية المرثّية:(٦٨)

وسابحٍ لاعبٍ في بحره مَرَحـا تُشير كفَّاه تَعويذاً من الغَـرَقِ
يَدعو ولم يكُ مضطراً: خذوا بيدي وعنده الفَرقُ بين الأمنِ والغَـرقِ
فـإن بكيتُ فإني قـد ذكـرتُ بـه من جُرِّعتْ منه كأس الموتِ بالشَّرقِ
رُدَّتْ على البَحرِ من كفّي جوهرة ثم انقلبتُ بقلبٍ دائـمِ الحُـرَقِ

ولم يقتصر الأمر على هذا القدر، بل تجاوزه إلى مشهد آخر، أبعد من حالة الغرق إذ قال في مصلوب مستحضراً صورة الغريق:(٦٩)

ومرتفعٍ في الجِذعِ إذ حُطّ قدره | أسـاءَ إليه ظَـالمٌ وهـو مُحسنُ
كـذي غَرَقٍ مَـدَّ الذّراعينِ سَـابحاً | من الجو بَحراً عَـومُه ليس يمكنُ

ونقف إزاء صورة ثانية للشاعر في بيتين وردا في الدّيوان، دون ذِكر المناسبة لهما وظاهرهما، أنّهما في باقةِ ورد ذابلة يقول ابن حمديس:[٧٠]

يـاباقـةً في يميني للرَّدى ذَبُلت | أذاب قلبي عليكِ الحزُنُ والأسفُ
ألمْ تكوني لتاجِ الحُسنِ «جوهرةً» | لمّا غرِقت فهـلاّ صَانـك الصَّدفُ

إن الشاعر هجا باقة ورد في موضع آخر من الديوان[٧١]، لكن النظرة المتأملة، لا تلبث أن تعيد هذين البيتين إلى سياقهما، مستعينة بالقرائن على ذلك، ومنها «جوهرة» و«غرقت»، وأما «جوهرة» فقد أوردها على صفة التورية، إذ هو لا يريد الحجارة الثمينة بل جاريته، التي ابتلعتها مياه البحر ولم تصنها أصدافه، وإنما أورد الشاعر «الباقة» على سبيل الاستعارة التصريحية.

وهكذا يرتبط البحر لدى ابن حمديس برثاءِ من فقدهم فيه، وتصبح مشاهد كثيرة تواجهه: الصبي اللاعب، والمصلوب، وباقة الورد، رموزاً ومؤشرات تعود به إلى الصّورة الشّاخصة في الذاكرة، الراسخة في الضمير.

٣ ـ معارك الجهاد البحرية:

يتجلى وجه آخر من وجوه البحر، ذو حجم كبير، ومساحة واسعة، من أشعار شعراء الأندلس، ذلكم الشعر المقترن بوقائع الجهاد البحرية، وهو المحور الثالث من محاور شعر البحر، يمثل صورة إيجابية من صور التفاعل مع الحياة، على عكس الصورة التي مثلها المحور الأول، فلا نجد شعوراً بالخوف والرهبة من البحر كما تقدم في أشعار الشعراء الذين ركبوا البحر طمعاً بجاه أو مال. . بل نجد صور البسالة والبلاء تملأ الافق، وهو ذو صلة متينة بالحياة السياسية، وقد أشرنا إلى عناية حكام الاندلس بحماية ثغورهم البحرية المواجهة للبحر، والجزر التي ظلت سيادتهم عليها.

إن أقدم صور الوقائع البحرية الأندلسية ترد عند شعراء القرن الرابع الهجري، فقد ساق جملة من أشعارهم أبو عبدالله الكتاني(٧٢)، ويقترن ذكر ابن هاني الاندلسي (ت٣٦٢هـ) بوصف الأساطيل، لكن الصُّورة تكتمل وتتجلى أوضح ما تكون في القرن الخامس الهجري، لدى ثلاثة من كبار شعراء الاندلس هم:

ابن دراج القسطلي، وابن وهبون، وابن حمديس.

وأما أولهم، فنحظى في ديوانه بقصيدة لامية، تتصدر الديوان، تصور معركة بحرية انتصر فيها ممدوحه، الأثير، المنصور بن أبي عامر، في القضاء على زيدي بن عطية حاكم المغرب بعد أن أعلن الثّورة عليه، فأوقع المنصور فيه هزيمة منكرة، حتى لان له وقدّم الطاعة، وبقي على ولائه، وجاءت القصيدة في خمسة وخمسين بيتاً، ففي أسباب الغزوة يقول: (٧٣)

ألا في سبيلِ اللّه غزوكَ من غوى	وضــلَّ بـه في النــاكثين سبيــلُ
بجمعٍ له من قـائدِ النصرَّ عـاملٌ	إلـيـه ومن حـقِّ اليـقـينِ دَليـلُ

ومن القصيدة نعلم أن المنصور كان قد أنشأ أسطولاً بحرياً متميزاً، مراكبه ذات أشرعة عالية مجهزة بالعُدد الكثيرة، التي رَاعت أمواج البحر فاستعظمها، وهي تحمل على متونها أسوداً في غابة كثيفة الاشجار، وهي في سرعة جريها كالخيول، ويسترسل الشاعر ويطيل الحديث عن جريها، فهي سحائب تسوقها الرياح، وهي ظباء خفيفة سريعة، وهي حمام أزرق لكن دون مفاحص، أو هديل، والسفن للعدو أفاع تُقرى السم، يقول:

تحمّـلٍ منه البحـرُ بحراً من القنا	يـروعُ بهـا أمـواجَـه ويهـولُ
بـكـلِّ مـعـالاةِ الـشّـراع كَـأنّها	وقـد حَمَلت أسد الحقـائق ـ غيلُ
إذا سَـابَقَتْ شـأو الـريـاحِ تخيّلت	خيـولاً مـدى فـرسـانِهنّ خُيـولُ
أراقمُ تَقـوِى نـاقـعَ السُّمِ مَـاهـا	بمـا حَمَلت دون الغـواةِ مَقيـلُ

وفي القصيدة تتجلى الروح الايمانية، والمعاني الإسلامية، وهي سمة واضحة في ديوان الشاعر في أكثر قصائده.

وأما صورة أساطيل البحر عند ابن وهبون (ت٤٨٤هـ) فترد في قصيدة قافية ساقها ابن بسام الشنتريني نرجح أن تكون جزءاً من قصيدة في مدح المعقد بن عباد، ولست تَرَى فيها صورَ الطّعان والضراب، والنار المؤججة، ولا صبرا واستبسالا على حرّ الحرب ولأوائها، لأن الشاعر ـ كما يبدو ـ يصف أسطولاً يمخر عباب البحر، في استعراض عسكري بِعدِّه وعُدده، ولشدة تمكن الأسطول في إظهار براعته، أشبه المراكب وهي تزأر زئير الاسود، أو وهي في مأزق من مآزق الحرب. جاءت القصيدة على أنها في وصف الاسطول، ورأى الدكتور صلاح خالص أنها في وصف الأسطول الاشبيلي[٧٤]، وهي في تسعة أبيات.

تتشكل صورة الأسطول عند ابن وهبون، في هيئة ابنة الفضاء، حمامة وَرقاء، أو «غراب» يرد على صفة التورية، إذ تطلق التسمية على نوع من قطع الأسطول، كانت تُطلى بالقار، وله قلوع بيضاء، وهي بذلك تشبه الغربان[٧٥]، وهذا الغراب يجرر ثوبه في تيهٍ وخُيلاء، وعُجبٍ وكبرياء، وبقية قطع الاسطول، تبدو عليها آثار اليد الصناع في الأناقة، وهي تشبه الشاهين والشوذق، وأما المجاذيف فتشبه أفاعي ربوة نزلت لتشرب من الغدير، يقول:[٧٦]

ياحُسنَه يوماً شَهِدتُ زفافَها	بنتَ الفضاءِ إلى الخليجِ الأزرقِ
ورقاءُ كانَت أيكةً فتصوَّرتْ	لك كيفَ شِئتَ من الحَمام الأورقَ
حيثُ الغُراب يجرُّ شملة عُجبِه	وكأنّه من عِزةٍ لم يَنعِقِ
زَأرتْ زئيرَ الأسد وهي صَوامِت	وزحفنَ زَحفَ مراكبِ من مَأزقِ
ومجادفٍ تحكي أراقمَ رَبوةٍ	نزلَتْ لتكرعَ في غديرٍ مُتْأقِ

وتقابل هذه القصيدة، أخرى لابن اللبانة، في البحر والقافية نفسيهما وفي عدد الأبيات كذلك لكنها في مناسبة أخرى حيث يصف لعب الاسطول بيوم المهرجان، وهي جزء من قصيدة طويلة تتجاوز خمسين بيتاً، يخاطب ممدوحه الأثير

بعد المعتمد بن عباد، مبشِّر العامري الملقب بناصر الدولة (ت٥٠٩) حاكم الجزائر الشرقية (البليار) في البحر(٧٧)، وفيها تكرار لبعض مفردات وقوافي ابن وهبون. وقصيدة ابن وهبون أسبق نظما، لكن ابن اللبَّانه أشدّ براعة في دقة التصوير، فقطع الأسطول عنده تشبه بنات الماء، والغراب، والشاهين والجياد السبق، والنوق التي تقطع السراب: (٧٨)

بُشرى بيومِ المهرجانِ فإنّه ... يومٌ عليه من احتفائك رونقُ
طارَتْ بناتُ الماءِ فيه وريشُها ... ريشُ الغُرابِ وغيرُ ذلك شَوذقُ
وبنو الحروب على الجَواريِّ التي ... تَجري كما تَجري الجيادُ السبَّقُ
خاضَتْ غديرَ الماءِ سابِحةً به ... فكأنما هي في سرابٍ أَينقُ
هَزَّتْ مجاديفًا إليك كأنَّها ... أهدابُ عينٍ للرَّقيبِ تُحدِّقُ
وكأنها أقلام كاتبِ دَولةٍ ... في عَرضِ قِرطاسٍ تَخطُّ وتَمشُقُ

وقد تقدم بنا اشتهار «المريّة» بين موانىء الأندلس بصناعة السّفن، وعنايتها بالأساطيل، ولا سيما في عهد مجاهد العامري (٤٠٠ ـ ٤٣٦هـ)، وأما عهد المعتصم بن صمادح (٤٤٣ ـ ٤٨٤هـ) فكان امتدادا لهذه العناية، ولذلك نجد أبا عبدالله بن الحداد (ت٤٨٠هـ) يصف أسطول المعتصم من قصيدة منها: (٧٩)

هامَ صَرفُ الرَّدى بهامِ الأعادي ... إن سَمَت نَحوهم لها أجيادُ
وتراءَتْ بشُرعِها كعيونٍ ... دَأْبُها مثلَ خائِفيها سُهادُ
ذات هُدبٍ من المجاديف حاكٍ ... هُدْبَ باكٍ لدمعِه إسعادُ
حُمَّ فوقها من البيضِ نارٌ ... كلُّ من أُرسلت عليه رَمادُ
ومن الخَطِّ في يدي كل دُرٍّ ... أَلِفٌ خَطَّها على البَحر صَادُ

وبينها وبين أبيات ابن اللبانة شبه، وإن اختلفتا في الوزن والقافية، لكن أبيات ابن الحداد تصور معركة حقيقية، لاسيما في حمم النيران التي تطلقها تلك والقطع، وكان ابن اللبانة قد اتهم بالإغارة على أشعار ابن الحداد(٨٠)، وذلك حين

قدومه على بلاط المعتصم بن صمادح إلا أن تكرار التّشبيهات ورد عند آخرين، فتشبيه المجاديف بالأفاعي، ورد عند ابن حمديس (ت٥٢٧هـ) وابن أبي خالد (ت٦١٣هـ) وابن الحريق (ت٦٢٢هـ) وتشبيه السفن في سرعتها بالصقر والشاهين، يرد عند ابن وهبون فضلا عن ابن اللبانة.

وإذا كانت حركة المجاديف عند ابن اللبانة، تشبه أقلام كاتب دولة في عَرض قرطاس، فإن صورة ابن الحداد أبلغ دلالة حيث شبه المجداف بحرف الألف، وأثره في الماء بالنزول والصعود بحرف الصاد... وتباين تشبيه المجاذيف بالأهداب، فهي عند ابن الحداد تُشبه أهداب باكٍ، وهي عند ابن اللبانة أهداب عين رقيب، فالأول رأى قطرات الماء التي علقت بالمجداف. والآخر نظر إلى حركة المجداف.

وتتسع صورة المعارك البحرية، حين نقف عند ديوان ابن حمديس، فهو خير من سَجّلها حتى لكأنها رأي العين، إنه دائم التذكر لاستبسال قومه في الدّفاع عن الوطن، وفي الديوان قصيدتان من هذا اللون، بائية وميمية، نرجح أنه نظمهما بعد رحيله عن صقلية، وكلتاهما طويلة النفس، وتأتي الأولى جزءاً من قصيدة في مدح القائد مهيب بن عبد الحكم الصقلي، اختار للأولى وزنا راقصاً هو بحر الرمل، وجعل القافية مقيدة مردفة بالألف وبدأها بالغزل، وسرعان ما تخلص منه إلى المديح، فقال: (٨١)

وإذا نابَكَ خطبٌ فاقْرِهِ ... بمهيبٍ، فهو للإسلامِ نابْ
في جِهادٍ قَرنَ اللّه بهِ ... عنده الزّلفى إلى حسنِ المآبْ

وينتقل إلى وصف مهيب، وقوته وصرامته، والحنكة والشكيمة التي تحلى بها في مقاومة الأساطيل الرومية:

كم بأرضِ الشِّركِ من معمورةٍ ... أصبحتْ في غَزوِهِ وهي يَبابْ
في أساطيلَ تَرى أحشاءَها ... لبناتِ الرُّومِ فيهن انتحابْ
إنَّ ثعبانَ سُراهُ يقتدِي ... في نَعيبٍ منه بالبَرِّ غُرابْ

ويجعل سفنه الحربية شجرات مغدقة بالثمار، وثمارها هي البيض المثرفيات، وقد جعل فرسانه الروم يقرأون الموت في طرس الماء حتى ليعجب من شدة بأسهم وجلدهم وثبات حنانهم:

شَجَراتٌ حَملها البِيضُ إذا نوَّرت بالمشرفيات العِضابْ
من صناديدهم إن سَاوروا أسدَ البِيد وحياتِ الشِّعابْ؟
لستُ أدري أقاربٌ منهم أم نُحُورٌ في الحيازيم صِلاب؟

وثانية القصيدتين تأتي مضمخة بلواعج الشوق، مقترنة بالشعور بالغربة، وهي من عيون قصائده وقد اختار لها بحر الطويل وزناً والميم المطلقة رويا، قالها يتذكر عربا صحبهم بأرض المغرب متشوقاً إلى بلده، يمدح قومه أهل سرقوسة صقلية، ويستهل ابن حمديس قصيدته بمدح عرب المغرب، في سبعة عشر بيتا، لينتقل بعدها إلى بني قومه:(٨٢)

ونحن بني الثغر الذين ثُغورُهم إذا عَبَّستْ حربٌ لهم تَتَبسَّمُ
ومن حَلَبِ الأوداج يَغذي فَطيمُنا بحجرٍ من الهَيجاء ساعةَ يُفطَمُ
يضاعَفُ إن عُدَّ الفوارس عَدُّنا كأنَّ الشُّجاعَ الفَرد فينا عَرمرَمْ

ويسجل لنا مشاهد عن معارك قطع الاسطول فيصف طائرة ترمي العدو وبالنار في عقر داره، وهي محملةٌ بالدواهي، وفي تحليقها تشبه فتخاء حائمة، والسفن التي تحمل الابطال كالطيور تعوم بالآساد! ترسل نارا محرقة تشوي الوجوه:

و«طائرة» بالذَّمر ملء عنانها لها الفضلُ في شأو البروق مسلَّم
رمينا عداةُ اللهِ في عُقر دارِهم بعَاديةٍ في غمرةِ الموتِ تُقْحَم
كأن قسيّاً من مواخرها التي يُفَوَّق منها من المقادِم أسهمُ
وتُرسلُ نَفطا يركبُ الماءَ محرِقا كمُهلٍ به تَشوِي الوجوهَ جهنمُ

ويختم قصيدته بالشوق إلى وطنه، الذي استودع في ترابه أهله وأحبته الذين ذادوا عن حياضه:

أَحنّ إلى الأرضِ التي من تُرابِها ... مفاصلُ من أهلي بُلين وأعظُمُ

ويبدو أن «الطيَّارة» من أنواع السفن المستخدمة من الأساطيل البحرية، لها مكانة حيوية في الحروب، ولذلك نجد ابن حمديس في مقطّعة - يجعل البحر عَينا، وعَبريه الجفنين، وأمّا الطيّارة، فهي بؤبؤ العين وإنسانه، والتشبيه بالعين - في شعر البحرية - كثيراً ما يتردد عند الأندلسيين، يقول: [٨٣]

«طيارة» ولها فرخانِ واعَجَبا ... إذ لا تَزفّهما حتى يَزفّاها
كأنّما البَحرُ عينٌ وهي أسودها ... فَسبحها فيه، والعَبران جفناها

وتأتي بقية قصائد ابن حمديس، في الوقائع البحرية والأساطيل، خلال مدح اثنين من حكام المهدية، أولهما: يحيى بن تميم بن المعز (٥٠١ - ٥٠٩هـ) وكان من القوة والاستقرار بحيث وصلت إليه هدايا من المغرب، ومن ملك القسطنطينة، فمدحه في تلك المناسبة - ابن حمديس، واستعفاه من غزو بلاده سنة ٥٠٩هـ، وفي القصيدة يصف سفنه، وطلاؤها بالشّحم بعد القار بحيث أشبها الأنوار والظُّلم، ويشبهها - في حركة مجاديفها - بالعقارب السحم: [٨٤]

في زاخرٍ من بحورِ الرّوم عادتُه ... ألا يزَال مَشوباً منهمُ بِدَمِ
ومنشآت إذا ريح لها نَشأت ... جرينَ من زاخرٍ بالموت مُلتطمِ
راحَتْ من الشَّحم فوقَ القار لابِسَةً ... فيه، تآزر أنوارٍ على ظلم
تُبدى سواعدَ أكمام تريك بها ... مشَى العَقارب من ألوانها السّحمِ

وأما الممدوح الثاني الذي اقترن ذكره بمعارك الجهاد البحرية، فهو ابن الممدوح السابق على بن يحيى بن تميم (٥٠٩ - ٥١٥هـ)، ومدائح الشاعر فيه تبلغ

ضعفى مدائحه في أبيه ومن قصائده نعلم شدة عناية علي بالاساطيل، وكثرة خوضه المعارك البحرية، نستبين ذلك في أربع قصائد طويلة النفس، داليتان، ورائية، وميمية، وفي كل ترد الاشارة إلى أن غزواته كانت ضد الروم، ويبدو تفاعل الشاعر الشديد في قصائده. وربما أحس - كما يرى الدكتور احسان عباس - في موقفه تعويضا عمّا فاته من الدفاع عن صقلية، لأنّ عليا كان قد وقف بصلابة، ضد حكام صقلية النورمانيين، فتمثل الشاعر أنه في هذه الوقفة الباسلة، يدافع عن وطنه(٨٥).

ويرد في القصائد ذكر «الحربية»، وهي قطعة من قطعات الأسطول، وسلاح فاتك يرسل الحمم النارية الشديدة، ونتبين من أشعاره، أنّها بهيئة مرتفعة كالجبال، وهي كالمنجنيقات، ذات قوسين ترمي السهام بوساطة شدِّ اللوالب فيها، يقول في داليته الأولى: (٨٦)

والحـرب في «حـربيّـةٌ» نيـرانها   تَـطأ المـيـاهَ بشـدّةِ الإيـعـادِ
تَـرمى بنفطٍ كيفَ يبقى لـفحُـه   والـشّـمُّ مـنـه محـرّق الأكـبـادِ
وكـأنّمـا فيهـا دُخـانُ صـواعقٍ   مُـلِئَـت مـن الإبـراق والإرعـادِ

وفي داليته الثانية يقول: (٨٧)

و«حربية» في طالعِ السَّعد أُنشيت   فنِيـرانها للحرب دائمـةُ الـوقـدِ
جبال طَفَتْ فوقَ المياهِ وغُيِّضت   بسحرِ القَنا والمُرهفات على الأسدِ
من كل ذي قَوسين يُرسل عنهما   سهـامَ المنايا فهي مُصمِيـةٌ تُـردي
وتَـرمي بنَفطٍ نـاره في دُخـانِـه   بـه المـوتُ محمـدٌ يؤوبُ بمسـوَدٍّ
وتحسب فـيـه زفـرةً من جَـهنّم   تصعَّـد عن قتلِ اللَّوالبِ بـالشَّـدِ

وأما الرائية، فيعكس فيها الشّاعر الآثار النفسية التي تركتها «الحربية» على جيش الروم بحيث لاذوا بالفرار مستخدمين «الشّواني»(٨٨) السريعة الحركة: (٨٩)

رأوا «حـربيـةً» تـرمي بـنـفطٍ … لاخمـادِ الـنفـوسِ لـه استِعـارُ
كـأنّ المُهـلَ في الأنبـوب منـه … إلى شيّ الـوجـوه لـه ابـتِـدارُ
إذا مـا شُكّ نحـرُ العِلجِ منه … تـعـالى بـالحِـمـامِ لـه خُـوارُ
وقـد جَعَلوا لهمْ شـرعَ الشـواني … مـع الأرواح أجـنحـةً وطـاروا

ولا تكاد الميمية تخرج عن المعاني المتقدمة آنفا، فتذكر فتك الحربية، وشدتها، إلا أن الشاعر يلتفت بها إلى الألوان المتألفة من النّيران، ويجعلها تزف الموت عرائس، والنيران المشتعلة مطفئة للأرواح، يقول:(٩٠)

وبـ «حـربيـة» لهـا نفط حـربٍ … يحـرقُ المـاءَ تـارةً بـاضـطرامِ
تـرتمـي مـن مُـلونـاتٍ لـبـودٍ … كـريـاض نُـوِّرن فـوق أكـامِ
فهي تجلو عـرائسَ المـوتِ سُـودا … حُـوّلت في عبـابِ أخضرَ طـامِ
وذبـالٍ عـلى القَنـا مشعـلات … مُـطفئـات الأرواح في الأجسـامِ

إن شعر معارك الجهاد البحرية، واكب الوقائع مواكبة حيّةً تفصيلية، وهو في ذلك لا يقل شأنا عن شعر المعارك البرية، ومواكبتها للوقائع والغزوات، وما وصل من أشعار الصنف الأول قليل، يجعلنا نظن أن جزءا كبيراً منه مفقودا، ومما يدلنا على ذلك وصول مقطعات شعرية في كتب الإختيارات، على أنها جزءٌ مما قيل في تلك الوقائع، فمن ذلك قول أبي عبدالله قاض ميله يصف مركبا للروم، أوقع به المسلمون، وذكر العلج:(٩١)

إذا طفـا أبصرَ الصّمصام يَـرقُبُـه … أو غاصَ في الماء من خَوفِ الرّدى شَرقا
وأيُّ عيشٍ لمـوقـوفٍ عـلى تلفٍ … يـراقبُ الميتتـينِ السَّيفَ والغَـرقـا

السمات الفنية :

١ـ المعاني والصور :

بعد أن طالت وقفتنا عند شعر البحر، حيث عرضنا لنصوص كثيرة فيه، ظهر لنا في أنماطه المتعددة، فضرب يصور رهبة الشعراء منه، وآخر يصف البحر ورحلته، بقصيدة المديح، وقصيدة الغربة والحنين، وقصيدة الرثاء، وضرب ثالث يقترن بمعارك الجهاد البحرية.

لقد تبين للدارس ـ بشكل واضح ـ حجم هذا الاتجاه في الشعر الاندلسي، وسعته في دواوين شعراء الأندلس، ولعل كثرة تداوله وشيوعه، وراء اضطراب نسبة الأبيات، إلى أكثر من شاعر وتنازعهم إياها[٩٢]، وإذ تتضاءل كمية ما نظم في هذا المجال قياساً بمظاهر الطبيعة الأخرى أو بموضوعات الشعر الاندلسي، فإن تلك الأشعار بقيت متميزة في معيار الجودة الفنية والبراعة الشعرية.

دارت أبرز معاني شعر البحر حول الأهوال التي تواجه راكبيه، وتركزت حول محور أساسي، هو الرهبة من البحر، وقد وصف الشعراء السفن التي كانت سبيلهم لركوبه، بالمتانة والقوة، فهي جاجيء غربان تطير، وقوادمها وخوافيها من أعاصير الشمال والجنوب، وبنت الماء تطير براكبيها، تتخذ من الصباح جناحاً تطوي به ظلمات الليل البهيم.

وتمثل جانب آخر من شعر البحر في أنه سبيل الراحلين إلى الممدوحين، يصف الشاعر وعثاءه ومشاقه، وصف معاناة، وهو بذلك يخرج على عمود الشعر الذي مضى عليه المتقدمون حين رحلوا إلى الممدوح على الناقة والبعير[٩٣] ودارت معاني أكثر من قصيدة بحرية، حول تذكر الأهل والخِلاّن، والاوطان، سواء حين رحلة الشاعر الفعلية، حيث تضطرب مشاعره وعواطفه نحوهم، أو حين إقامته بعيداً حيث يقف حائل البحر دون لقياهم.

وإذا كانت معاني الشعر قد دارت حول الخوف والرهبة منه والاعتذار عن

ركوبه، فإن تجاربه المرَّة استأثرت بأكثر من قصيدة لدى ابن حمديس لاسيما في رثائه جاريته «جوهرة».

وجاءت معاني قصيدة البحر في محور يفوق المحاور السابقة، حين اقترن بوقائع الجهاد البحرية، فصورها لنا أدق تصوير، وجلّى لنا شجاعة أبطالها واكتمال عددهم وحدثنا عن قطع الأسطول المتنوعة «الغراب» و«الطيارة» و«الحربية» وهي ترمي بنيرانها الملتهبة، وفي السلم، وأيام المهرجان، وصفها وهي تمخر عباب البحر، تظهر قوتها وبراعتها العسكرية.

ويمكن ملاحظة استثمار الصياغة، في إطار المعنى، فبعض الشعراء الأندلسيين، تناقلوا بينهم عدداً من المعاني فجاءت مكررة، على نحو مالمح ابن الآبار القضاعي (ت٦٥٨هـ) معنى انتقل من أشعار لابن درّاج إلى ابن خفاجة في تصوير سرعة السفينة[٩٤]. وعلى نحو ما نجد من تكرار تشبيه المجاديف بالعيون ذات الاهداف، عند ابن اللبانة وابن الحداد، وشعراء آخرين جاءوا بعدهما، أو تشبيهها بالغربان والأفاعي والأراقم في سرعة جريها.

وأكثر قصائد الوقائع البحرية، شأنها في ذلك قصائد الوقائع البرية تأتي مضمخة بمعاني الإيمان، معطرة بروح الاسلام، تفوح بأريجه، حيث تمنح أبطال الاندلس طاقة عظيمة في التضحية والجهاد في سبيل الله، وأكثر ما تتضح في ديواني، ابن دراج وابن حمديس.

وإذا كانت الصورة الفنية رسماً قوامه الكلمات المشحونة بالاحساس والعاطفة كما يقول سي دي لويس[٩٥]، فإن للدارس أن يواجه حشداً من الصور الفنية، ثمرَّها الخيال الأندلسي، فتميَّزت بألوان حارة، وخطوط جميلة.

لقد كان تأثير البحر واضحاً في الصور الفنية، إذ استلهم الشعراء منه صورهم، وجاءت أشعار الأندلسيين منطوية على عنصر إبداعي متميز، واختلفوا في ذلك عن شعراء المشارقة، بالمدى الذي تأثروا فيه بالبيئة التي أحاطت بهم، وكان البحر أحد معالم الظاهرة الابداعية، وقد سجل لنا أبو عبدالله الكتاني، المتوفى بعد سنة ٤٢٠هـ، بواكير هذا التأثر في الأشعار التي نظمت في البحر والسفن[٩٦]٨

ولدى استقراء الصور الشعرية[٩٧] في دواوين شعراء عصر الطوائف، نلاحظ كثرتها وغزارتها، وهي تجري في محورين رئيسين هما، شعر المديح، الذي يُعد من أبرز موضوعات الشعر الاندلسي، وشعر الوقائع الذي تنضوي تحته أشعارٌ كثيرة، وسنتوقف عند أبرز الصّور التي جاءت متأثرة بالبحر في هذين الموضوعين بشكل موجز:

ففي مجال المديح، تكرر ذكر البحر في صور شعراء العرب قديما، لاسيما في مجال تشبيه الكريم بالبحر، إلا أن صورة البحر كانت تأتي عندهم عامة عابرة، دون أن يتوقفوا عند تفصيلاتها، ويتوغلوا في أجزاء الصورة، وقد مضى على هذا النحو عدد من شعراء الأندلس، ومن ذلك قول ابن خفاجة، مستخدماً أسلوب التورية في كلمة «التيمم»[٩٨]:

رُويدك ماهذا التَّيمم ضلةً   وجهلاً، وهذا البحرُ قد جاشَ مفعما
إذا عبَ بحرُ الجودِ في كفِ خالد   فليس بجازٍ عنك أن تتيمَّما

إلا أننا نجد الصورة في شيء من التفصيل، تنبيء عن معايشة الشاعر للبحر، وإدراكه لخصائصه، فيفيد ابن دراج من ظاهرة مدّ البحر في صورته فيقول:[٩٩]

لِيزه به البحرُ كأنّ مدوده   نوائلُ من معروفِه وفضولُ

ويفصل هذا المعنى ابن حمديس حين يقول:[١٠٠]

فنداهُ البحرُ والبحرُ متى   تعصِف الريح عليه يُزبدَ

ويقول:[١٠١]

للبحر بالريحِ عبابٌ كذا   جَدواه إن أسمعَ فيها الملامُ

والممدوح ليس كالبحر، أو هو مثله لولا عذوبته: (١٠٢)

لست كــالبــحــرِ فــمـلحٌ مــاؤه   لا ولا كــالليثِ، فــالليثُ شتيـمٌ

ويقول: (١٠٣)

تحسب البحرَ بعضَ جدواه لـولا   أنــه في الــورودِ عــذبٌ نمــيرُ

ويسترسل ابن حمديس في استلهام البحر في صورة، فجد في زخاره جود الممدوح ما يقتضي السفن للعوم، إذ ليست عطاياه إلا جداول، وسفن الآمال عائمة فيه: (١٠٤)

وتلكَ بحـورٌ من عـطايـاه أُنشِئت   لهــا سفنُ الآمـال لا للجــداولِ
وكـلُ سُفـين تحرِث المـاءَ عـوّمـا   إذا هي شَقَّتْ لجةً بـالكَـلاكـلِ

كان استمداد الشعراء، أوسع ما يكون من البحر، في مجال التنويه، بجود وكرم الممدوح، لكن الشعراء أفادوا كذلك في صورهم من البحر في ميادين أخرى، حين وقفوا عند الصفات الخلقية الأخرى، ففي باب السماحة والنجدة والاغاثة، يصف ابن جفاجة إقبال ممدوحيه، كأفواج مجد طام زخار: (١٠٥)

من كـل غيثٍ للسَّمـاحــة واكفٍ   يَهـمى وقــرمٌ في الــوَغـى هَــدَّارِ
يتتابعـون إلى الصــريخ كــأنهم   أمــواجُ بحــرٍ قــد طَمَى زَخَّــارِ

ويرى ابن درّاج تألق جبين الممدوح، والتماعه، كالقنا التي تخرق أمواج الجيش: (١٠٦)

وكــأنــيّ بـجـبـيـنـهِ في لُجــةٍ   للحربِ يخرق بـالقنَا أمــواجهـا

وفي مجال استنجاز الوعد، قال يحيى بن الزيتوني الفاسي، يخاطب المعتضد بن عباد فيقول: (١٠٧)

سفينة الوعد في بحر الرجا وقفت فـامنن بريـح من الانجاز يجـريهـا

وفي مجال القوة والشجاعة، يكون خوض البحار سمتهما الواضحة، فالحرب تموج بالموت بحيث لا يجد الغريق سبيلاً للنجاة: (١٠٨)

وخُضتَ وقد أعيت نجاةُ غريقها وهالتْ بأمواج المنايا بُحورُها
صَليتَ ونارُ الحربِ يذكو سعيرُها وخضتَ وموجُ الموتِ تَطفُو غَوارِبُه

وتتألق الصورة الفنية عند ابن حمديس، فيتجاوز البحر إلى الخليج في وصفه سيف الممدوح فيقول: (١٠٩)

قـد أرانـا مكـافحُ الأسـدِ سَيفـا حـدُّه في طَـلا عِـداه ولـوجُ
فـرأينـا في دَستِـه بَحـرَ بَـأسٍ مـدّ فيـه إلى الضِّـرابِ خليـجُ

والممدوح كالبحر كرما تارة، وبأسا أخرى، إذ لا يسلم العابر فيه على نفسه: (١١٠)

بحـرٌ إذا مـا القِـرن رامَ عبوره لم يلقَ منه إلى السَّلامـة معَبـرا

وإذا كان شأن شعراء العرب، ركوب الابل، وقطعهم رحلة الصحراء، فإن ابن خفاجة ركب البحر، مبالغاً في إظهار معاناته إلى الممدوح(١١١):

وأخضرَ عجـاج تـدرِّجـه الصَّبـا فتُتِهمْ فيـه العينُ طـوراً وتنجـدُ
سـأركبُ منه ظهـرَ أدهمَ ريضٍ مَروعٍ بسوطِ الرّيحِ يَجرى فيزبـدُ

لكن ابن حمديس يركب الصحراء، ويقرن رحلته فيها برحلة البحر، ويشبهها به(١١٢):

إليكَ امتطينا كلَّ راخٍ بموجهِ ... كما جَرْجَر القَرْمُ الحقودُ على المُكرى
ولولاكَ لم نَركبْ غَواربَ زاخرٍ ... مُسنَّمةٌ في اللحمِ منه إلى العُمرِ

وفي موقف آخر يمتطي ابن حمديس الناقة، فيجدها سفينة في اليم، ولذلك سمّيت الناقة «سفينة الصحراء» ثم عادوا فقلبوا الوصف وجعلوا السفينة ناقة: (١١٣)

بنتَ برٍ في البحرِ تَركبُ فيها ... كلكلاً بالموجهِ من سَنامْ

وسفينة الصحراء تدافع رياح البحر: (١١٤)

والبُزل تجنحُ بالقِبابِ كأنها ... سفنٌ مدافعةٌ صَباً وشَمالا

لقد كانت صورة البحر عند ابن حمديس مقرونة بالخوف والهلع بما يقربها من الصور النفسية التي تتألق فيها غنائية الشاعر، «ولعل افتخاره بقطع الصحاري، وركوب السفائن البرّية، وصبره على أهوالها، تعويض لما كان يحسه من نفور، إذا وقف إزاء البحر(١١٥)

وأما في مجال شعر الوقائع والجهاد فتَزدحم الصُّور المستمدة من البحر وتردُ كثيراً في وصف الجيش وزَحفه وسلاحه، فقد أكثروا من تشبيه الدروع المنسوجة من الزرد، تنسجها ريح الصباتارة: (١١٦)

كالبحرِ تنسجه ريح الصّبا حبكاً ... إذا ترقرقَ في الماذيِّ من زرده

ويصنعها زبد البحر تارة أخرى: (١١٧)

من كل ذِي ميعةٍ كالبحر يحسب من إزبـاده سُـرِدَتْ مـاذيَـةُ البَـلَلِ

وثالثة يؤلفها حبابه:(١١٨)

يمـوجُ بـه بحـر كـأنَّ حبَـابَـه عليه دِلاصٌ سـردهـا منـه محكم

وتأتي صورة الجيش في أشعارهم مقرونة بالبحر، فابن دراج يصف جيش الافرنج في إحدى معاركه مع المسلمين فيجد خيولها خائضة البحر:(١١٩)

بسـوابـحٍ في لـجِّ بحـرٍ سـوابـحٍ فاضَت على الأرض الفضاءِ مُدودُها

والجيش الذي يخوض الحرب، بحر متموج:(١٢٠)

- يتـادُ كـلَّ عـرمـرمٍ متمـوجٍ كـالبحـرِ تَـركُله نَؤوجُ الشَّمـألِ
- وجـيشٍ يجـيش بـأبـطالِـه كـما مـاجَ مـوجُ العْبـاب التِّطامـا
- ووجهت نحوه بالنصر جيشَ وغى ببحـره ظـل وجـه الارض يلتـطمُ

ويستعير ابن حمديس صورة الصحراء للبحر في وصف ممدوحه:(١٢١)

همـامٌ يمـوجُ الـبّر كـالبحـر حـولـه إذا رفـع الـرايـاتِ فـوقَ جحـافِله

وتقترن صور الشعراء للخيول بالبحر، من حيث قوتها، وانطلاقها وعدم استقرارها:(١٢٢)

وبحـرٍ حـديـدٍ قـد تـلاطمَ أخضرٍ إذا عصفَتْ ريحُ الجياد بـه طمى

ويقول كذلك:(١٢٣)

سَرى ترتمي ركضاً به كـلُّ موجـةٍ　　　تَرامي بها بحـرٌ من الليلِ أخضرُ

ورأى الشاعر قيمة الفرس الثمينة فشبهه بالبحر، فقال:[١٢٤]

من كـلِّ وردٍ مـا يشـاكـل لـونُـه　　　إلا تـورّد وجـنـةِ المـحـبـوبِ
وكـأنَّمـا كنـزَتْ ذخيـرة عُـنقِـه　　　منـه عُبـابَ البحـر في يَعبُـوبِ

وتتكرر التشبيهات بالبحر وكنوزه، في مظاهر الطبيعة الأخرى، كوصفِ الليل، عند ابن خفاجه[١٢٥] وابن حمديس[١٢٦]، ووصف النار[١٢٧]، ووصف قصيدة[١٢٨] عند ابن حمديس كذلك.

٢ ـ التجربة الشعورية:

وإذ بسطنا القول في معاني وصور البحر، فقد آن لنا أن نتوقف عند أبرز معالم التجربة الشعورية فيه، حيث برز ولمع في ملاحقة البحر، شعراء، أطالوا المكوث عنده، وتميَّزت أشعارهم فيه، ولما كان ابن حمديس المتميز فيهم، من حيث كثرة ما نظم وجودته في ذلك، فسنقف عند أشعاره التي نَحَت منحيين:

أحدهما: يكتفي بالصّورة المجردة العابرة للبحر والسفينة في مقطعات شعرية.

والآخر: يمثل غنائية القصيدة عنده وصدق تجربته الشعورية، وتجلى ذلك في قصائد الغربة والشوق إلى الوطن، ورثاء جاريته، ووصف الوقائع البحرية.

إن الدارس يقف على أبعاد تجربة الشاعر الشعورية، وصدقها، حيث مزج عواطفه بأمواج البحر فمازجته، فغدا للدارسين، عذباً فراتاً، بعد أن كان ملحاً أجاجا، وقد اكتملت عناصر التجربة الشعورية عنده في ثنايا الأحاسيس والعقل والخيال والموسيقى[١٢٩].

جاءت صور البحر متعددة متلونة، إلا أنها غالبا ما كانت قاتمة اللون،

سوداء، كالحة المنظر، مكفهرة المخبر، ذلك لان البحر ظل حائلاً بينه وبين وطنه، وكانت أخباره تحمل إليه الالام، وتنكأله القروح، فمنها وفاة أبيه وعدد من الأقارب، وغارات النورمان المصّبحة الممسية، فاشتدت دواعي الشوق به، ووجف قلبه واضطرب، حتى صحَّ منه العزم وعُقدت منه النية، للرجوع إلى الوطن وركوب ثبج البحر، لكنه ينكب بجاريته الأثيرة إلى نفسه. وينقطع الأمل بخوض تجربة أخرى، للرحيل إلى الوطن، لانقطاع السبل به، حتى أنه تمنى أن يركب الهلال زورقاً، فيعانق أحلامه الوردية(١٣٠).

وكان لون الأمل وبريق الرجاء، ينتصران أحياناً على الخوف والهلع، حتى يسلس الشاعر القياد لقصائده الحماسية، فتأتي أبياته لهبا وشواظا، تتساوى مع الحمم النارية التي كان أبناء صقليّةَ يرسلونها على العدو، وتقذفها «حربيات» و«طيارات» ممدوحه علي بن يحيى حاكم المهدية، الذي أمضى ابن حمديس شطر حياته الأخير بجانبه.

ولقد كانت قصائد الغربة ذات صلة مباشرة بالبحر كما رأينا، وهذه القصائد فيما يرى أحد الباحثين: «من أروع أشعار ابن حمديس، وأعلاها مستوى، ولعلها من خير ما أنتجه الشعر العربي من روائع»(١٣١)، ويتجلى عنصر القوة في الشكل والمضمون فقد بنيت بناء محكما منسجما مترابطاً(١٣٢)، وانسابت فيه الالفاظ والافكار والصور والمشاعر، والانغام انسياباً عفويا، وإنما يرد بناء هذه القصائد بناء قويا فيّاضا إلى صدق العاطفة، وعمق التجربة واتساع الثقافة(١٣٣).

أما ابن دراج، فقد اقترنت قصائده بممدوحيه، المنصورين، ابن أبي عامر، ومنذر بن يحيى التجيبي وكذلك، خيران العامري، وأحد القضاة، وتأتي تجربته الشعورية ضعيفة فاترة، أقل حرارة من قصائد ابن حمديس لكنه حين ينتقل إلى الحديث عن لواعج الشّوق والحنين، فيذكر أسرته وأبناءه، تَرِق قصائده، وتَشِف وتصدر عن عاطفة قوية.

٣ ـ اللغة والاسلوب:

لقد عمد الشعراء في قصائدهم البحرية، إلى استخدام المحسنات البديعية، بقدر لا يختلف كثيراً عن استخدامهم إياها في موضوعاتهم الأخرى، وجاء استخدامهم دون تصنع أو تكلف، فأمّا الجناس والطباق فهما لا يحتاجان إلى إشارة لوضوحهما، وأما أمثلة حسن التعليل فكثيره، في شعر الرهبة من البحر، ونجدها عند ابن رشيق، وابن حمديس، وابن المقترح، وقد تقدمت الاشارة إليها آنفا.

وأما الاقتباس من القرآن الكريم، فهو يجيء على نحو ما يرد في أشعارهم الأخرى، اقتباساً بالمعنى لا بالنص، وهو منهج جرى عليه شعراء الأندلس، يتصل بالفقه المالكي، فقد جاء معنى الآية الكريمة: «وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم»(١٣٤)، في أبيات ابن حمديس. والمعتمد بن عباد وابن المقترح وابن رشيق.

كذلك اقتباس ابن حمديس من الآية الكريمة «وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يَشوي الوجوه..»(١٣٥)، في قوله يصف قطعة بحرية(١٣٦):

وتُرسلُ نَفطا يركبُ الماءَ محرقاً كمهلٍ به تَشوي الوجوه جَهنم

واقتباسه في القصيدة ذاتها من قوله تعالى(١٣٧): «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يَحسبه الظَّمآن ماء» في تصوير انخداع جيش العدو(١٣٨):

كأنهم خاضُوا سَرَابا بقيعة تَرى للدَّبا فيها عُيونا عليهم

واقتباسه من معنى الآية الكريمة(١٣٩): «الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وخلقَ منها زَوجها» في خطابة لجوهرة(١٤٠):

لئن وَجدتك عني غيرَ نابيةٍ فإنَّ نفسي منها ربُّها فطَرَك

وجاء اقتباس ابن خفاجة، في موضعين من أشعاره البحرية، وفي مقطوعتين تقدمتا، هائية في تصوير ظلمات البحر، ونونية في إعلانه التّوبة عن ركوب البحر، وقد تقدمت الاشارة إلى الاقتباس الأول[١٤١]، وأما الثاني، فمن قوله تعالى: «ربّنا أخرجنا منها، فإن عدنا فإنا ظالمون»[١٤٢] وذلك في قوله:

فأخرِجنا على المَرغوب فيها فإن عُدنا فإنّا ظالمون

ولقد جاءت لغة ابن حمديس تجنح إلى السلاسة والرقة والسهولة، وهي سمة واضحة في أشعاره التي اتصلت بالغربة والحنين إلى الوطن، وفي أبياته التي تفجَّع فيها على جاريته «جوهرة»، أما قصائده التي اختصها بوصف الوقائع الحربية البحرية، فكانت ذات لغة جهيرة لا مهموسة، وتميزت بالجزالة والمتانة في الصبغ والصَّوغ، وقد جاءت أمثلة كثيرة في الدراسة الموضوعية التي تقدمت.

واتجهت لغةُ ابن دراج في بحرياته، شأنها شأن لغته في الديوان - إلى جزالة الألفاظ وجودة السبك، ومتانة الصِّياغة، وهي لغة تُحوج القارىء إلى المعجم ليتبين مفهومها. والأبيات التي جاءت آنفاً، واضحة الدلالة على هذه السمة.

٤ - بناء القصيدة والأوزان والقوافي:

يلاحظ الباحث في مجال بناء القصيدة والاوزان والقوافي تباينا بين أنماط ثلاثة، في قصيدة البحر، فقد عرض البحث لأكثر من خمسين نصا ما بين قصيدة ومقطوعة شعرية، وبغية الدقة في الوصول إلى النتائج في هذا المجال، اعتمدنا على ثلاثة جداول في ثلاثة محاور متوافقة، هي:

١ - في الرهبة من البحر ووصف البحر ورحلته.
٢ - في موضوعات رحلة البحر.
٣ - في معارك الجهاد البحرية ووصف السفن.

ومن تحليل أشعار المحور الأول الذي اعتمد البحث فيه على حوالي عشرين

نصاً، نجد أكثر القصائد جاءت في البحور السريعة القصيرة، خلافاً لما هو شائع في واقع استخدام هذه البحور في الشعر العربي الذي يعتمد البحور الطويلة المتئدة بنسبة راجحة.

كذلك نلاحظ أنّ الشُّعراء اعتمدوا في قصائدهم على القوافي المطلقة بنسبة عالية فمن حوالي خمسة عشر قصيدة اعتمدها البحث بلغت القوافي المطلقة نسبة ٩٠٪، وذلك يدلل على عناية الشعراء ببناء قصائدهم، من حيث قوافيها.

بنيت جميع القصائد على أساس القطعة الشعرية التي قوامها، بيتان أو ثلاثة أبيات، وواحدة فقط في خمسة وثلاثين بيتاً

ومن تحليل أشعار المحور الثاني الذي جاءت فيه حوالي خمسة عشر نصاً، نجد أن جميع القصائد جاءت في البحور المتئدة، باستثناء قصيدتين، جاءتا بوزن سريع هو «المنسرح»، وكان حظ بحر «الطويل» كبيراً بين البحور المتئدة. وبذلك تبلغ نسبة البحور الطويلة إلى القصيرة ٨٦٪ وهي نسبة أعلى مما جاء في أشعار الرهبة من البحر بـ ٢٦٪ كما هو واضح.

جاءت جميع قوافي القصائد مطلقة باستثناء قصيدتين اثنتين، وبذلك تؤلف النسبة المذكورة ذاتها ٨٦٪، وجاء بعضها مردفاً، وبعضها الأخر مؤسساً، مما يدل على مدى عناية الشعراء ببناء قوافيهم.

مالت أكثر القصائد إلى الطول وتجاوزت المقطعات إلى المطولات، وبذلك تتضاءل نسبة المقطعات، على عكس ما وجدنا في أشعار الرهبة من البحر فتبلغ ١٨٪، وذلك ما تقتضيه طبيعة موضوعات رحلة البحر، وحاجتها إلى الافاضة والاستطراد، ولقد كانت قصيدة البحر في موضوع المديح أطول منها في موضوعي الغربة والحنين والرثاء.

ومن تحليل أشعار المحور الثالث الذي عدنا فيه إلى حوالي خمسة عشر نصاً كذلك، نجد أن: ١ ـ أوزان القصائد مالت إلى البحور الطويلة الهادئة، كان حظ «الطويل» و«البسيط» و«الكامل» متقاربا، وكان حظ البحور السريعة أقل، إذْ

نظمت فيها ثلاث قصائد، وبذلك تؤلف البحور الطويلة إلى القصيرة نسبة ٨٠٪، وهي نسبة تقارب استخدامها في موضوعات رحلة البحر المذكورة آنفاً.

٢ ـ جاءت قوافي القصائد الخمس عشرة مطلقة باستثناء قصيدة واحدة بحيث تؤلف نسبة ٩٣٪، وهي نسبة تقارب ماجاء في قوافي الجدولين السابقين.

٣ ـ مالت القصائد إلى الطول حيث جاءت بين اربعين بيتاً إلى سبعين، بذلك يتضاءل نصيب القطعة إلى القصيدة الطويلة على نحو ما وجدنا في موضوعات رحلة البحر، وبلغت نسبتها ١٨٪.

ومن النظر في الجداول الثلاثة مجتمعة، يتوصل الباحث إلى النتائج الآتية:

١ ـ إن أبرز شعراء البحر في عهد الطوائف والمرابطين ثلاثة، اجتمع لهم في البحث ثلاثون نصاً، أي بنسبة ٦٠٪ من مجموع النصوص، وأبرزهم، ابن حمديس، إذ تناول البحث له عشرين نصاً عن صوره المستمدة من البحر، وهي كمية تبلغ ثلاثة أضعاف ثاني شاعر، وقف إزاء البحر هو ابن خفاجة، حيث جاءت له ستة نصوص، كما تبلغ خمسة أضعاف ثالث شاعر هو ابن دراج القسطلي، الذي وقف البحث له على أربعة نصوص فقط، ومن هنا فليس من الدِّقة، أن يرى أحد الباحثين أن القسطلي: «أكثر الشعراء الأندلسيين التفاتاً إلى البحر والسفن، واهتماماً بهذا وتلك»(١٤٣). كذلك يمكن أنْ نُسجل، أنَّ شُعراء المغرب كانت مشاركتهم في ميدان شعر البحر ضئيلة باستثناء عدد يسير أشرنا إلى أشعارِهم في مواضعها من البحث.

٢ ـ إن الشعراء حققوا تنوعاً في الأوزان حيث جاءت قصائدهم في أكثر بحور الشعر العربي، وقد تحقق لهم هذا التنوع بنسبة ٦٨٪ إلى بحور الشعر العربي الستة عشر، مستخدمين خمسة بحور طويلة وستة بحور قصيرة، وأبرز البحور الطويلة هو «الطويل» إذ وردت فيه اثنتا عشرة قصيدة، يليه «الكامل» وجاءت فيه ثمان قصائد، وأما أبرز البحور القصيرة، فـ «مخلع البسيط» الذي جاءت فيه ثلاث قصائد يليه بحر «السريع» و«المنسرح» و«المجتث» وردت في كل قصيدتان.

٣ ـ أكثر حروف الروى استخداما هو «القاف، الميم، الدال» حيث جاء في كل ستة نصوص، تليها حروف «الراء، الباء، الهمزة» حيث جاءت في كل خمسة نصوص،

ثم «الهاء» جاء فيها أربعة نصوص، وهي في ذلك تجري ضمن الحالة المطردة في أكثر حروف الهجاء استخداما في القوافي، وإن كان حرف القاف أقل شيوعاً، من الياء، لكنه تقدم عليها في أشعار البحر، وفي الوقت الذي نجد حروف «اللام والكاف والعين»[١٤٤] متقدمة في استخدام الشعر العربي، فإنها لم تَسلُس استخداماً في أشعار البحر فكانت أقل حروف الروي استخداماً.

٤ ـ لم يتحقق عنصر الوحدة الموضوعية، إلا في موضوعين اثنين هما، أشعار الرهبة من البحر والوصف المجرد للبحر والسفينة، وأمّا الوحدة الموضوعية. فقد تجلت في التجارب الشعورية الحيّة في بعض القصائد، ولا سيما في موضوعي رحلة البحر الغربة والحنين، والرثاء، وبعض قصائد المديح.

الهوامش

(١) عطيه، أدب البحر ٨.

(٢) إذا كانت كلمة «أدب البحر» تنصرف إلى دلالة اصطلاحية، فيمكن تحديدها على نحو ماجاء عند الدكتور أحمد محمد عطيه من أنه: ذلك الأدب الذي يستهدف التعبير عن عالم البحر، والذي يكون البحر موضوعه الرئيسي المؤثر في الأحداث والشخصيات، وفي الرؤية الكلية للعمل الأدبي «عطيه ص٧».

(٣) نشير في هذا المجال إلى كتابين: تاريخ الأدب الجغرافي العربي للمستشرق الروسي كراتشوفسكي، ترجمة: صلاح الدين عثمان، (ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧) وكتاب الرحالة المسلمون في القرون الوسطى، الدكتور زكي محمد حسن، ط دار المعارف بمصر ١٩٦٥.

(٤) صحيح مسلم ٢/٤٥ ـ ٤٦، التلمساني، نفح الطيب، ١٦١/١، وينظر الحجي، التاريخ الاندلسي ص ٥٠.

(٥) ينظر سورة البقرة ١٦٤، ابراهيم ٣٢، الإسراء ٦٦، الجاثية ١٢، الرحمن ٣٥.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب ٢/٤، التلمساني ٢٠٤/١، وينظر الحجي، التاريخ الاندلسي ٤٤ هامش (٢).

(٧) الحجي، التاريخ الأندلسي ٣٦.

(٨) الحجي، الحضارة الاسلامية في الأندلس، ٤٦، وينظر عنان الآثار الاندلسية الباقية، ١٤٥.

(٩) التلمساني ٣٢٦/٤.

(١٠) ديوان، رقم ٢٦.

(١١) الأدب الأندلسي، ٤٦٨، وقد وقف وقفة متأنية عند هذا الجانب فكتب فصلاً بعنوان شعر البحرية الاسلامية، ص٤٧١ ـ ٥٠٢، إلا أنّه استعاب في دراسته بنصوص شعرية من عصور الأندلس المختلفة، من الفتح إلى سقوط غرناطة، كذلك حميد، في كتابه قضايا أندلسية، ١٨٦ ـ ١٩٣، في فقرة تحت عنوان «البحار والأساطيل» جاءت ضمن فقرة عامة عن طبيعة الأندلسيين كما يصورها الشعر.

(١٢) الأدب الأندلسي ٣٢٤.

(١٣) العرب في صقلية ٣١٤ وما بعدها.

(١٤) منها الاساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، د. ابراهيم العدوي، ط نهضة مصر، ١٩٥٧، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس، د. أحمد مختار العبادي و د. السيد عبدالعزيز سالم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩.

(١٥) النبوغ المغربي، ١٧٣/١.
(١٦) الوافي بالأدب العربي، ٨٤/١.
(١٧) كنون، ٧٨/١.
(١٨) ابن عبد البر، بهجة المجالس. ٣٥٣/١.
(١٩) التلمساني، ٣٧٧/٣، السيوطي، بغية الوعاة، ٣٢٧/٢.
(٢٠) البيتان هما:
مما يُزهِّدني في أرض أندلسٍ أسماءُ مقتدرٍ فيها ومُعتضدِ
ألقابُ مملكةٍ في غير موضِعها كالهرِّ يحكي انتفاخاً صولةَ الأسدِ
ابن رشيق، ديوان رقم ٤٧، ص٥٩.
(٢١) ابن رشيق، ديوان ٢١٢.
(٢٢) القيرواني ٣٠، وجاء البيتان الأخيران منسوبين إلى ابن رشيق القيرواني، ديوانه رقم٤، وفي تذكرة العلماء والشعراء (مخطوط) ورقة٨٨، ورواية البيت الاول كالاتي:
أمرتني بركوب البحر مجتهداً وقد عَصيتك فاختر غيرَ ذا الداءِ
(٢٣) قال أبو العرب الصقلي يقول:
لا تعجبن لرأسي كيفَ شاب أسى وأعجب لأسود عيني كيف لم يشبِ؟
البحرُ للروم لا تَجري السَّفينُ به إلا على غَررٍ، والبرّ للعَرب
وفي البيتين من الدلالة ما فيهما، على رجاحة كفة الروم، وضعف بحرية المسلمين، وإن الحرب كانت سجالاً بينهم.
(٢٤) ديوان الحكيم ١١٦.
(٢٥) ديوان رقم ٢٧١، والاصل «مثل مابه» وهو تحريف ما أثبتناه.
(٢٦) الثعالبي، يتيمة الدهر ٥٨/٢، الحميدي، جذوة المقتبس ٣٠٦.
(٢٧) التلمساني، ٤٢٤/٣.
(٢٨) ينظر ابن جبير، الرحلة ١٠ - ١١، ٢٨٩، وتصويره الاهوال جاء بعد رحلته الاولى سنة ٥٨١هـ، أي بعد عهد الطوائف والمرابطين.
(٢٩) ابن سعيد الأندلسي، رايات المبرزين ٥٠، ابن خلكان وفيات الاعيان ٢٨/٥، التلمساني، ٣٥٢/٤.
(٣٠) الجزار السرقسطي، ديوان ورقة ٥٦ - ٥٧.
(٣١) القيرواني ٤٠، ٤٢، وفي البيت الأول تحريف لا تستقيم معه «رياح» المتكررة إلا ممنوعة من الصرف.
(٣٢) ابن حمديس، ديوان رقم ٢٨٢، ص٤٣٢.
(٣٣) ابن حمديس، ديوان رقم ٦.
(٣٤) ابن رشيق، ديوان، ص٥٣٣ - ٥٣٤.
(٣٥) يشير الشاعر إلى الآية الكريمة: «وقال اركبُوا فيها باسم اللهِ مَجريها ومُرسَاها إنَّ ربِّي لغفورٌ رَحيم»، هود ٤١.

(٣٦) وقد تكرر هذا المعنى في موضع آخر من ديوانه، ص٤٥١، حيث يقول:
وعظيم الهول لولا آية لم يكن راكبه إلا أثيمْ
(٣٧) أبو الصلت، ١٥٧.
(٣٨) ابن خفاجة، رقم ٩٠.
(٣٩) نفسه، رقم ٢٧٣.
(٤٠) نفسه، رقم ٩١.
(٤١) نفسه، رقم ٢٧٢
(٤٢) ابن حمديس، رقم ٢١٠.
(٤٣) ابن شقرق السبتي، الخريدة، ١/٣٤٧.
(٤٤) ومما يتصل برحلته البحر، وصف عدد من الشعراء السفن التي كانوا يركبونها في رحلاتهم، من ذلك بيان للأعمى التطيلي، ابن الخطيب، السحر والشعر، ٤٨٠، وأبيات ابن حمديس؛ ديوانه، رقم ٢٠٠.
(٤٥) ابن دراج، ديوان رقم ٣٣.
(٤٦) مقدمة الديوان ابن دراج، ص ٧٢.
(٤٧) مطلعها (قصيدة المتنبي):
على قدرِ أهل العزم تأتي العَزائمُ وتأتي على قدرِ الكِرام المَكارِمِ
(نفسه، ٧٤).
(٤٨) نفسه، رقم ٤٤.
(٤٩) نفسه، رقم ٨٤.
(٥٠) هيكل، الادب الأندلسي، ٣٢٦.
(٥١) ينظر حجاجي، حياة وآثار الشاعر ابن خفاجة، ٧٤.
(٥٢) ابن خفاجة، رقم ١٤٩.
(٥٣) ينظر بهجت، واقعة الزلاقة كما صورها الشّعر الأندلسي، مجلة آداب المستضرية، العدد (١٣)، ١٩٨٤.
(٥٤) ابن شقرق الشعبي، الذخيرة، ٢/٢٣٨.
(٥٥) ابن الأبار القضاعي الحلة السِّيراء، ٢/١٨٦.
(٥٦) ابن شقرق السبتي، الذخيرة، ٢/٥٠٤.
(٥٧) ابن حمديس، ٣٣، رقم ٢٧.
(٥٨) نفسه، رقم ٢.
(٥٩) نفسه رقم ١٥٧.
(٦٠) ابن خفاجة، رقم ٩١، وفيه «جريةً وهزةً» على التمييز ولعل الصواب «جَريُه، وهزُّه» بالرفع والاضافة.
(٦١) ابن رشيق، رقم ٣٤.
(٦٢) ابو الصلت ١٠٤.

(٦٣) ابن حمديس، رقم ١٣١.
(٦٤) نفسه، رقم ١٩١.
(٦٥) نفسه، رقم ١٣١، والأشر التحزيز في الاسنان.
(٦٦) نفسه، رقم ٢٨٢.
(٦٧) نفسه، رقم ٣٢٥.
(٦٨) نفسه، رقم ٣٠٦.
(٦٩) نفسه، رقم ٣٦٩.
(٧٠) نفسه، رقم ١٩٦.
(٧١) نفسه، رقم ٢٠.
(٧٢) الكتاني، التشبيهات، باب البحر والسفن: ١٧٩ - ١٨٢.
(٧٣) ابن دراج، رقم (١).
(٧٤) خالص، ابن وهبون الاندلسي، ٥٥٤.
(٧٥) العبادي، سالم، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام، ١٣٢.
(٧٦) ابن شقرق السبتي، الذخيرة، ٢/١/٥٠٥ - ٥٠٦.
(٧٧) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ١٢٢، الجزائر الشرقية (البليار) في أيام الطوائف، د. المانع ص١٧٧،
(٧٨) ديوان ابن اللبانة، رقم ٥٧، كذلك ينظر شعر ابن اللبانة الداني، رقم (٥٨)، د. المانع.
(٧٩) ابن الأبار القضاعي، المتقضب في كتاب تحفة القادم، ١٢٠، نفح الطيب، ٤/٥٦.
(٨٠) ابن خاقان، مطمح الانفس، ٨٠.
(٨١) ابن حمديس، ٢١٦.
(٨٢) نفسه، رقم ٢٦٩.
(٨٣) نفسه، رقم ٣٧٠.
(٨٤) نفسه، رقم ٢٨٩.
(٨٥) مقدمة ابن حمديس مقدمة الديوان، ١٤.
(٨٦) ابن حمديس، رقم ٩٢.
(٨٧) نفسه، رقم ٩٣.
(٨٨) الشواني: مفردها «شونة» و«شينة» و«شيني» وهي نوع من السفن ضخمة الحجم لها قلوع بيضاء، ومجاديف يبلغ عددها، مائة وأربعة وأربعين، الشكعة، الأدب الأندلسي، ٤٨٨
(٨٩) ابن حمديس، رقم ١٣٨.
(٩٠) نفسه، رقم «٢٩٢».
(٩١) ابن الصيرفي، المختار من شعر شعراء الأندلس، ٨٢.
(٩٢) نفسه، ٧، هامش ٣
(٩٣) ابن قتيبه، الشعر والشعراء، ١/٢٢.
(٩٤) ابن الأبار القضاعي، المقتضب، ١٢٢.

(٩٥) لويس ، الصورة الشعرية : ٢٣ .
(٩٦) الكتاني، التشبيهات، ١٧٩ - ١٨٢ .
(٩٧) يستوى في ذلك قولنا، الصورة الفنية أو الادبية أو الشعرية (الصورة الفنية في شعر الاعشى الكبير ١٤٩).
(٩٨) ابن خفاجة ص١٧٦ .
(٩٩) ابن دراج القسطلي ص٦، وينظر كذلك ص٧٦ .
(١٠٠) ابن حمديس، ١٤١ .
(١٠١) نفسه، ٤٦١، وانظر ص١٣٥ .
(١٠٢) نفسه، ص٤٥١ .
(١٠٣) نفسه، ص٢٤٦ .
(١٠٤) نفسه، ص٣٩٦
(١٠٥) ابن خفاجة، ٣٨ .
(١٠٦) ابن دراج، ٢٤ .
(١٠٧) ابن شقرق السبتي، الذخيرة، ٤/١/٣٧٥ .
(١٠٨) ابن حمديس، ١٩، ٢٠ .
(١٠٩) نفسه، ٧٧ .
(١١٠) نفسه، ٢٣٥ .
(١١١) ابن خفاجة: ص ص١٩٤ - ١٩٥ .
(١١٢) ابن حمديس، ٢٢٧ .
(١١٣) نفسه، ٤٦٩ .
(١١٤) نفسه، ٣٩٠ .
(١١٥) عباس، العرب في صقلية، ٣١٤ - ٣١٥ .
(١١٦) ابن دراج، ١٢٢ .
(١١٧) ابن حمديس، ص٣٩١ .
(١١٨) نفسه، ٤١٣ .
(١١٩) ابن دراج، ٥٥ .
(١٢٠) ابن حمديس، ٣٨٥ - ٤٥٥، ٤٦٣، والنؤوح، الريح السريعة، شديدة الصوت.
(١٢١) نفسه، ٣٦٩ .
(١٢٢) ابن خفاجة، ١٧٤ .
(١٢٣) نفسه، ص١٨٠ .
(١٢٤) ابن حمديس، ٦١ .
(١٢٥) ابن خفاجة، ١٧٣ .
(١٢٦) ابن حمديس ٧٩، ٤٠٦، ٤٨٨ .
(١٢٧) نفسه، ٤٩٨ .

(١٢٨) نفسه، ٦٢.
(١٢٩) ضيف، في النقد الأدبي، ١٤٦.
(١٣٠) ابن حمديس، ٤.
(١٣١) الحسن، ابن حمديس، حياته وشعره، ٨٧.
(١٣٢) عباس. العرب في صقلية، ٢٥٠.
(١٣٣) ابن حمديس، ٨٨.
(١٣٤) سورة هود، آية (٤١).
(١٣٥) الكهف، آية (٢٩).
(١٣٦) ابن حمديس، ص٤١٤.
(١٣٧) النور، آية (٣٩).
(١٣٨) ابن حمديس ٤١٥، والدبا: الجراد وفي عجز البيت يشبه حلق الدرع بعيون الجراد.
(١٣٩) النساء، آية (١).
(١٤٠) ابن حمديس، ص٢١٣.
(١٤١) ابن خفاجة، ١٢، رقم ٢٧٣.
(١٤٢) المؤمنون، ١٠٧، وينظر ابن خفاجة، رقم ٢٧٢.
(١٤٣) هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ٣٢٤.
(١٤٤) خلوصي، فن التقطيع الشعري والقافية، ٢١٥.

المصادر والمراجع

(١) ابن الآبار: القضاعي (ت ٦٥٨هـ)
الحلة السيراء، جـ ١-٢، تحقيق د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.
- المقتضب من كتاب تحفة القادم، اختيار أبي اسحاق البلفيقي، تحقيق ابراهيم الابياري، الاميرية، القاهرة، ١٩٥٧.

(٢) ابن بسام: الشنتريني (ت٥٤٢هـ)
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، جـ ١، تحقيق د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٦.

(٣) أبو الصلت: ابن أبي الصلت الاندلسي (ت ٥٢٨ هـ)
ديوان الحكيم، تحقيق محمد المرزوقي، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٧٩.

(٤) بهجت: د. منجد مصطفى
واقعة الزلاقة كما صورها الشعر الأندلسي، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، العدد ١٣، ١٩٨٤.

(٥) ابن تاويت: محمد
الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، جـ ١، ط ١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٢.

(٦) التلمساني: أحمد بن محمد المقرى (ت١٠٤١هـ)
نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب. تحقيق د. احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

(٧) الثعالبي: أبو منصور (ت ٤٢٩ هـ)
يتيمة الدهر، جـ ١ - ٤، ط ٢، السعادة، القاهرة، ١٩٥٦

(٨) ابن جبير: الأندلسي (ت٦١٤ هـ)
الرحلة، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤.

(٩) الجزار: السرقسطي
ديوان (مخطوط)، مصور عن الخزانة العامة بالرباط - رقم ٢٦٧٩/أك منه نسخة في مكتبتي الخاصة.

(١٠) حجاجي : حمدان
حياة وآثار الشاعر ابن خفاجة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٤.

(١١) الحجي : دكتور عبد الرحمن علي
التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٧٦.
- الحضارة الاسلامية في الأندلس، دار الارشاد، بيروت، ١٩٦٩.

(١٢) حركات : ابراهيم
المغرب عبر التاريخ - دار السلمي - الدار البيضاء - ب.ت.

(١٣) حسن : دكتور زكي محمد
الرحالة المسلمون في القرون الوسطى، دار المعارف. مصر، ١٩٦٥.

(١٤) الحسن : نايف خالد
ابن حمديس (حياته وشعره). رسالة ماجستير. مطبوعة على الآلة الكاتبة، بغداد، ١٩٧٤.

(١٥) ابن حمديس : الصقلي (ت ٥٢٧ هـ)
ديوان، تحقيق، احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠.

(١٦) حميد : دكتور بدير متولي
قضايا أندلسية، ط ١، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٤.

(١٧) الحميدي : أبو عبدالله (ت ٤٨٨ هـ)
جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، ١٩٦٦.

(١٨) ابن خاقان : الفتح (ت ٥٢٨ هـ)
مطمع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، مطبعة الجوانب، القسطنطينية، ١٣١٢ هـ.

(١٩) خالص : د. صلاح
ابن وهبون الأندلسي، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٢، ١٩٦٩.

(٢٠) ابن الخطيب: لسان الدين (ت ٧٧٦ هـ)
السحر والشعر، تحقيق ودراسة عمار ابراهيم قدور، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة عين شمس، ١٩٧٥.

(٢١) ابن خفاجة: الأندلسي (ت٥٣٣هـ)
ديوان، تحقيق د. سيد مصطفى غازي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠.

(٢٢) ابن خلكان: ابي العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ)
وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق د. احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢.

(٢٣) خلوصي: د. صفاء
فن التقطيع الشعري والقافية، ط ٣، بيروت، ١٩٦٦.

(٢٤) ابن دراج: القسطلي (ت٤٢١هـ)
ديوان، تحقيق د. محمود علي مكي، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٩٦١.

(٢٥) ابن رشيق: القيرواني
ديوان، تحقيق دكتور عبدالرحمن ياغي، دار الثقافة، بيروت، ب، ت.

(٢٦) ابن سعيد: الأندلسي (ت٦٨٥هـ)
رايات المبرزين، تحقيق د. نعمان عبد المتعال القاضي، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، ١٩٧٣.

(٢٧) السيوطي: جلال الدين (ت٩١١هـ)
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٤.

(٢٨) ابن شقرن: السبتي
الخريدة

(٢٩) الشكعة: د. مصطفى
الأدب الأندلسي (موضوعاته وفنونه)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤.

(٣٠) الصائغ: د. عبدالاله
الصورة الفنية في شعر الأعشى الكبير، رسالة دكتوراه، كلية الآداب ـ جامعة بغداد ١٩٨٤.

(٣١) صحيح مسلم.
(٣٢) ابن الصيرفي: أبو القاسم بن المنجب (ت٥٤٢هـ)
المختار من شعر شعراء الأندلس، تحقيق هلال ناجي، وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية، الرباط، ب، ت
(٣٣) ضيف: د. شوقي
في النقد الأدبي، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٦٦.
(٣٤) العبادي: دكتور أحمد مختار، بالاشتراك مع سالم: دكتور السيد عبد العزيز
تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩.
(٣٥) عباس: دكتور احسان
العرب في صقلية (دراسة في التاريخ والأدب)، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩.
(٣٦) ابن عبدالبر: يوسف بن عبدالله القرطبي (ت٤٦٢هـ)
بهجة المجالس وأنس المجالس، جـ١ - ٢، تحقيق د. محمد مرسي الخولي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ٦٧ - ١٩٦٩.
(٣٧) العدوى: دكتور ابراهيم
الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، نهضة مصر، ١٩٥٧.
(٣٨) ابن عذاري: أبو عبدالله محمد المراكشي
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.
(٣٩) عطية: أحمد محمد
أدب البحر، دار المعارف، مصر، ١٩٨١.
(٤٠) عنان: محمد عبدالله
الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٩٦١.
- دول الطوائف، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٨.
(٤١) عويس: د. عبدالحليم
دولة بني حماد (صفحة رائعة من التاريخ الجزائري)، ط ١، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٠.

(٤٢) ابن قتيبة: عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)
الشعر والشعراء، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤.

(٤٣) القيرواني: أبو الحسن الحصري
(عصره ـ حياته ـ رسائله ـ ديوانه)، تحقيق محمد المرزوقي، والجيلاني بن يحيى، مكتبة المنار، تونس، ١٩٦٣.

(٤٤) الكتاني: أبو عبدالله (ت بعد ٤٢٠هـ)
التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦.

(٤٥) ابن الكردبوس:
تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، تحقيق د. أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٧١.

(٤٦) كراتشوفسكي: أغناطليوس
تاريخ الأدب الجغرافي، ترجمة صلاح الدين عثمان، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧.

(٤٧) كنون: عبدالله:
النبوغ المغربي في الأدب العربي، جـ ١ ـ ٣، ط ٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٥.

(٤٨) مجهول:
تذكرة العلماء والشعراء ـ مخطوط ـ دار الكتب المصرية رقم (٩١٠٩).

(٤٩) ابن اللبانة: الأندلسي
ديوان، دراسة وتحقيق، د. منجد مصطفى بهجت، بحث مكمل لمتطلبات الماجستير ـ جامعة الأزهر ـ ١٩٧٣.

(٥٠) لويس: سي. دي.
الصورة الشعرية، ترجمة د. أحمد نصيف الجنابي وآخرون، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٢.

(٥١) المانع: دكتور
الجزائر الشرقية (البليار) في أيام الطوائف، مجلة التربية والعلم، العدد ٢، الموصل، ١٩٨٠.

(٥٢) هيكل: دكتور أحمد
الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، المكتبة الأندلسية، دار المعارف، مصر، ١٩٧١.

المجلة التربوية

تصدر عن كلية التربية - جامعة الكويت

فصلية ، تخصصية ، محكمة

تنشر البحوث التربوية ، ومراجعات الكتب التربوية الحديثة ومحاضر الحوار التربوى ، والتقارير عن المؤتمرات التربوية

- ★ تقبل البحوث باللغتين العربية والانجليزية
- ★ تنشر لأساتذة التربية والمختصين فيها من مختلف الاقطار
- ★ تطلب قواعد النشر من رئيس التحرير
- ★ تقدم مكافأة رمزية للناشرين بها

الاشتراكات :

للأفراد في الكويت	٢ د.ك	وللطلاب ١ د.ك
للأفراد في الوطن العربي	٥ر٢ د.ك	وللطلاب ٥ر١ د.ك
للأفراد في الدول الأخرى	١٥ دولارا أمريكيا بالبريد الجوى	
للهيئات والمؤسسات	١٢ د.ك وفي الخارج ٤٥ دولارا أمريكيا	

توجه جميع المراسلات إلى :

رئيس التحرير - المجلة التربوية - ص.ب ١٣٢٨١ كيفان - الكويت

THE SEA IN THE POETRY OF ANDALUS AND MOROCCO DURING THE ERA OF AL-TAWAÉF AND AL-MURABITEEN

ABSTRACT

The Paper studies the Poetry from the point of view of the following topics:

a. Meaning and images.
b. Sentimental experience.
c. Language and style.
d. Structure of the poem including meter and rhyme.

It also tackles the following topics:

a. Fear of the Sea.
b. Description of the Sea and its Voyages.
c. The Sea Battles.

The general idea in this paper is that the Andalusian poets are firmly attached to the sea which reflect its influence upon them. Many studies on the Andalusion poetry have been submitted but none of them says a particular attention to the poetry of the Sea.

The Sources consulted for this paper are anothologics of many poets, books on Andalusian history, biographies, and modern Literary as well as critical studies.

THE AUTHOR

Dr. Munjid Mustafa Bahjat

* Ph.D at the University of Al-Azhar in 1982.
* Currently: Assistant Professor at the Arabic Department, University of Al-Mosul.

PUBLICATIONS:

- Some Researches in Adab Al-Rafidayn Periodical, University of Al-Mosul.
- The Battle of Al-Zallaqa as pictured in Andalusian poetry (published in Al-Mustansirya 1983.

THE FORTIETH MONOGRAPH

THE SEA IN THE POETRY OF ANDALUS AND MOROCCO DURING THE ERA OF AL-TAWAÉF AND AL-MURABITEEN

Dr. Munjid Mustafa Bahjat

Department of Arabic Language - Al-Mosul University

Annals Of The Faculty Of Arts

Volume VII, 1986